من وثائق التاريخ العربى*

للدكتور عبد اللطيف ابراهيم

استاذ كرسى الوثائق العربية فى العصور الوسطى

ورئيس قسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

إن التقدم العلمى العظيم الذى يطرأ على البحث التاريخى ، وتجميع الوثائق العربية ودراستها وتحقيقها ونشرها ، مما يساعد على نمو الروح الوطنية والقومية ؛ لأن الشعب المصرى العربى بل والأمة العربية كلها — فى هذه المرحلة الحاسمة التى تمر بها —تبدى اهتماما بالغا بتاريخها الماضى ، وتلتمس منه أسبابا جديدة للعزة الوطنية والمجد القومى من أجل بناء حياتها فى المستقبل .

وهذه الوثائق التى نقوم على نشرها فى هذا البحث ، نموذج حى وصادق لما يمكن أن تسهم به الوثائق التاريخية بعامة ، فى إعادة كتابة تاريخنا الوطنى من جديد ، من وجهة النظر القومية والعلمية على السواء ، بالاعتماد على المصادر المادية التى لا شك فى أصالتها وحيادها[١] .

١

وثيقة مملوكية

عثرت على وثيقة الأمير يشبك من مهدى الدوادار — التى يزيد عمرها على خمسة قرون ، والتى تكشف لنا عن قلعة حربية مجهولة والحياة فيها بمدينة الاسكندرية

---

* أهدى هذا البحث إلى أرواح الشهداء الأبطال ، الذين سقطوا على مر العصور دفاعاً عن جمهورية مصر العربية فى كل من الإسكندرية وسيناء .

(١) عبد اللطيف إبراهيم : إعداد المشتغلين بالوثائق — مجلة المكتبة العربية مج ١ عدد ٤ ص ٢٧ — ٤٢

منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ففى سنة ١٩٥٤ وجدت هذه الوثيقة ضمن مجموعة من الوثائق التاريخية الهامة والثمينة ، فى أرشيف محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة بشارع نور الظلام بالحلمية آنذاك ، وقد وعدت بدراستها ونشرها لكى يستفيد منها المشتغلون بالتاريخ والآثار الإسلامية والحضارة فى العصور الوسطى ؛ إذ أشرت إلى ذلك فى رسالتى لدرجة الدكتوراه[١] — التى لم تنشر بعد — والتى أعددتها تحت إشراف أستاذى الجليل العالم النمسوى الذائع الصيت الأستاذ الدكتور أدولف جروهمان الحجة الثبت فى أوراق البردى العربية ، والذى تتلمذت عليه فيما بين سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٦ :

وقد قمت بزيارة لمكان هذه القلعة فى طرف منطقة السلسلة بالاسكندرية ، وتصوير ما بقى من آثارها القليلة فى سنة ١٩٥٨ ، وذلك بناء على تصريح خاص من الجهات المسئولة .

وقد أشارت جريدة « الأخبار » القاهرية إلى اكتشافى لهذه القلعة الأثرية المجهولة ، واستخدام المدافع بها فى سنة ١٩٦٢[٢] .

وفى صيف سنة ١٩٦٧ قدمت النص المخطوط لهذه الوثيقة وغيرها من وثائق الأمير يشبك من مهدى الدوادار ، إلى السيد / سامى أحمد عبد الحليم المعيد بقسم الآثار الإسلامية بآداب القاهرة لكى يستفيد منها أثناء إعداد بحثه لدرجة الماجستير عن « الأمير يشبك من مهدى وأعمال المعمارية بالقاهرة » ، وأرجو أن يكون قد أشار إلى ذلك — وإلى غير ذلك من بحوثى العلمية المنشورة وغير المنشوورة التى أطلع

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى (تحت الطبع) المجلد الأول ص ٣٩ ، ١٣٩ حاشية ٤ ، ص ٢١٠

وقد أشرنا إلى ذلك كذلك فى بحوث لاحقة نذكر منها :

— وثيقة السلطان قايتباى (كتاب المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية) ص ٤١٢

— وثيقة وقف مسرور الشبلى الجمدار (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مج ٢١ ج ٢ ديسمبر ١٩٥٩) ص ١٣٤ ، ١٣٥ حاشية ٢

(٢) الأخبار ، العدد الصادر فى يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٢ ص ٧ عمود ٣ — ٤

عليها واستفاد منها — فى رسالته ، عملا بالأمانة العلمية التى يتحملها طلاب العلم الأوفياء ورجاله الأمناء .

***

وبعد ، فهذه الوثيقة المملوكية محفوظة بالأرشيف التاريخى لمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة [1] تحت رقم ١٨٨ محفظة ٢٨ ، وهى على شكل ملف (Roll) من دروج الورق الأوصال البالغ عددها ٢٢ درجا ، والدرج الأول والأخير منها أقلها طولا ، ومتوسط أبعاد الدرج الواحد ٤٢,٥ × ٣٢,٣ سم ، ومتوسط عرض الهامش الأيمن ٨ سم ، أما طول الوثيقة كلها فهو ٨ متر ، ٦٧ سم .

والوثيقة بحالة جيدة ، وإن كانت غير كاملة فقد فقد من أولها درج واحد على الأقل ، كما تآكل الهامش الأيسر فى بعض الدروج الأولى منها ، وكذلك نجد بها عدة ثقوب وخروم ، وآثار رطوبة واضحة فى بداية بدنها .

والكتابة تملأ وجه الوثيقة (Recto) كله ، بينما تشغل فى ظهرها (Verso) مساحة طولها ٢٠٨ سم تقريبا .

أما المتصرف الواقف فهو الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير فى عصر السلطان قايتباى ، ونوع التصرف الوارد فى وجه الوثيقة تصرف خاص وموضوعه وقف ، والمتصرف فيه (المحل) حصص بأراض مختلفة بالوجهين البحرى والقبلى فى مصر ، وقفها المتصرف أو الفاعل القانونى الأمير يشبك بتاريخ ٩ ربيع آخر سنة ٨٨٥ هـ ، بشهادة كل من أبى بكر بن أحمد الزعيفرينى [2] ، ومحمد بن محمدبن

---

(١) توجد نسخة أو صورة أو مثال من هذه الوثيقة ضمن مجموعة الوثائق المكتشفة أخيراً فى الأرشيف التاريخى لوزارة الأوقاف بالقاهرة تحت رقم ٦٦ ج .

وقد اعتمدنا فى تقويم النص ونشره على الوثيقة المحفوظة فى أرشيف المحكمة — مع الإستعانة بنسخة الأوقاف — لأنها أكمل من حيث النص الوارد فى الوجه بصفة عامة . هذا وللأمير يشبك من مهدى الدودار وثائق أخرى بأرشيف الأوقاف منها :

أ — وثيقة بيع من أملاك بيت المال المعمور — رقم ٤١٠ ج بتاريخ ١٦ رجب ٨٧٣هـ .

ب — وثيقة استبدال من أوقاف المرحوم الأمير يشبك — رقم ٥٠٦ ج بتاريخ ٢٨ شوال ٩١٩ هـ

حـ — وثيقة وقف رقم ١٣٣١

(٢) أنظر ترجمته فى السخاوى : الضوء اللامع حـ ٧ ص ١٢٢ رقم ٢٦٠

الركن الأسيوطى[1] كاتب الوثيقة .

هذا ويوجد فى ظهر الوثيقة بقية اسجال حكمى فى نفس تاريخ التصرف السابق ذكره[2] ، والراجح عندنا أن التوثيق أو الاسجال الحكمى كان بين يدى القاضى الموثق الشيخ صدر الدين أبى الخير محمد بن أبى عبد الله محمد بن الرومى الحنفى خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية ، وعلامته « الحمد لله على جزيل نعمايه » [3] ، وقد شهد على هذا الفعل التوثيقى كل من الشاهدين – على الفعل القانونى – السابق ذكرهما ، وكذلك ابن القاضى الموثق وهو محمد بن محمد بن محمد الرومى[4] وغيره من الشهود العدول .

وهذه الوثيقة تنشر اليوم مطبوعة بأكملها لأول مرة ، وذلك لما لها من أهمية كبرى فى إبراز جهود العرب والمسلمين فى الدفاع عن السواحل المصرية ، وحمايتها من غارات القوى المعادية – والصليبية منها بوجه خاص – فى أواخر عصر المماليك الجراكسة ، فضلا عن أنها تكشف لنا عن أثر إسلامى عظيم ، لم يكن معروفا لكل المشتغلين بالتاريخ والآثار الاسلامية من العرب والأجانب – قبل عثورى على هذه الوثيقة النادرة – ألا وهو برج أو قلعة الأمير يشبك من مهدى بالاسكندرية.

***

وبعد – فالأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير[5] ينسب إلى السلطان جقمق ، الذى جلبه فى سنة ٨٤٢ هـ ، فهو من مشترواته أو من جملة المماليك السلطانية ، وكان

---

(١) أنظر ترجمته فى السخاوى : نفس المصدر السابق جـ ١١ ص ١١٨ رقم ٣٦٨ ، ابن أياس : بدائع الزهور (ط. استنبول) جـ ٣ ص ٢٤٢

(٢) أنظر الاسجال الحكمى فى ظهر الوثيقة سطر ١٤ – ١٥
ويظهر أن هذه الوثيقة قد تم الإنتهاء من تحريرها وكتابتها وتوثيقها فى يوم واحد ، هو ٩ ربيع آخر سنة ٨٨٥ هـ ، بسبب إضطرار الأمير يشبك للخروج للحرب فى ذلك الشهر .
ابن أياس : نفس المصدر السابق والجزء ص ١٦١ – ١٦٢ ، ١٦٥ – ١٦٩

(٣) عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة بيع ص ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٩٥ تحقيق رقم ٥٤ ، لوحة رقم ٥ ، ١١ شكل ١٩

(٤) بحثنا السابق ص ١٥٥ ، ٢٠٢ تحقيق رقم ٧٨

(٥) للأمير يشبك ألقاب رسمية فخرية ووظيفية كثيرة ، منها ألقاب مفردة وأخرى مركبة سبق أن أشرنا إليها فى بحثنا وثيقة السلطان قايتباى رقم ٨٨٧ أوقاف ص ٤١٢

يعرف بالصغير ؛ وقد عينه السلطان خشقدم الرومى فى يوم الخميس ١٦ محرم سنة ٨٧١هـ كاشفا بالوجه القبلى وأنعم عليه بامرة عشرة .

ويظهر أن الأمير يشبك قد لمع على مسرح السياسة المملوكية بسرعة كبيرة ، إذ ساعد قايتباى فى الوصول إلى كرسى السلطنة — بعد أن أسهم فى عزل تمربغا — ولذلك عينه السلطان قايتباى فى الدوادارية الكبرى فى رجب سنة ٨٧٢ هـ ؛ وصار مقربا إليه حتى كانت الأمور كلها لا تخرج عنه ، وعظم أمره جدا ، وصار صاحب الحل والعقد فى دولة الجراكسة . ثم ولى الوزارة والاستادارية فى سنة ٨٧٣هـ ، كما تولى النظر على خانقاة سعيد السعداء والخانقاة البيبرسية وغيرها ؛ وفى شوال سنة ٨٨٣ هـ قرره السلطان قايتباى فى إمرة السلاح ، وفى أثناء غيبة السلطان فى الحجاز سنة ٨٨٤ هـ كان الأمير يشبك هو المشار إليه ، وفى ذلك يقول ابن إياس المؤرخ المعاصر : « ما أظن أن هذه الوظائف جمعت لأحد من الأمراء قبله » (١) .

وقد تزوج الأمير يشبك من بنت أخت الشيخ الأمين الاقصرائى ، ثم تزوج فى المحرم سنة ٨٧٤ هـ من خوند فاطمة بنت الملك المؤيد أحمد بن الأشرف اينال ، ورزق منها ابنه « منصور » فى ذى القعدة سنة ٨٧٥ هـ ، كما تزوج — بعد ذلك فى شوال سنة ٨٧٨ هـ — من أخت الأمير قانصوه خمسمائة (٢) .

وكان للأمير يشبك ابنة ذائعة الصيت هى الست المصونة المحجبة المخدرة « سعد الملوك » التى تزوجت من الأمير كرتباى ابن عمة السلطان قايتباى (٣) ، وبعد

= أنظر كذلك ظهر وثيقة يشبك محكمة رقم ١٨٨ محفظة ٢٨ سطر ٣ — ٥ ، تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ورحلته فى آسيا الصغرى (مخطوط مصور رقم ٢٥٩٢ بدار الكتب المصرية) ص ١ ،
Max Van Berchem, Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypté, pp. 439—440, 457.

(١) ابن أياس : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور (نشر د. محمد مصطفى) ص ٢٩ ، ١٦٧ ، بدائع الزهور (ط. استنبول) حـ ٣ ص ٣ ، ٥ ، ٢٠ ، ٢٦ — ٢٧ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٦٨

السخاوى : الضوء اللامع حـ ١٠ ص ٢٧٢ رقم ١٠٧٧ .

ابن تغرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور (نشر Popper) = ٣ ص ٥٢٧ — ٥٣٠ . Van Berchem : C.I.A., pp. 455—457.

(٢) ابن أياس : بدائع الزهور حـ ٣ ص ٣٥ ، ٥٧ ، ٨٩ ، ١٤٦

السخاوى : نفس المصدر السابق والجزء ص ٢٧٢

تاريخ الأمير يشبك (مخطوط) ص ١٠

(٣) ابن أياس : نفس المصدر السابق والجزء ص ٣٦١ ، ٣٨٥

وفاته تزوجت الأمير قانى باى قرا الرماح أمير آخور كبير (١) فى ذى الحجة سنة ٩٠٣ هـ . وكانت « سعد الملوك » من أعيان الستات والخونٍدات ، وفى سعة من المال لما ورثته عن أبيها من عقار وأرض وموجود ، وقد صادرها السلطان الغورى ثم السلطان سليم العثمانى بعد فتحه لمصر؛ وتوفيت فى ٧ ربيع آخر سنة ٩٢٣هـ (٢).

***

وقد سكن الأمير يشبك من مهدى فى اسطبل أو قصر قوصون المواجه لباب السلسلة بمنطقة القلعة ، وهو المعروف عند العامة حتى اليوم بحوش بردق (نسبة للأمير اقبردى الدوادار) وزاد فيه (٣) ، وكانت له شونة ووكالة فى بولاق (٤) ، وغير ذلك من العقارات فى أماكن مختلفة بالقاهرة وظاهرها .

والحقيقة أن الأمير يشبك كان ثرياً وفى سعة من المال ، وكانت له آملاكه الكثيرة واقطاعاته الواسعة (٥) وأوقافه الجليلة فى مصر ؛ ومنها أراض بناحية المطرية وخليج الزعفران من ضواحى القاهرة (٦) ، وفى الوجه البحرى فى كل من ناى وطنان من الأعمال القليوبية ، ومنية بدران بالدقهلية والمرتاحية ، وبوصير بنا بالغربية ، وأما فى الوجه القبلى فكانت له أراض فى طرشوب بالبهنساوية ، والمثنى وموشه بالأسيوطية ، وجزائر الجبل بالأخميمية ، وأبنود وأدفو وأصفون وطفيس والبلينا وجزيرة الدير وأم على وسمهود وغيرها بالقوصية ، وغير ذلك فى كل من أسوان وعيذاب (٧) .

---

(١) وثيقة وقف قانى باى الرماح رقم ١٠١٩ أوقاف .
وثيقة استبدال من وقف المرحوم الأمير يشبك رقم ٥٠٦ ج أوقاف سطر ٢٠ — ٢٢

(٢) ابن إياس : نفس المصدر السابق حـ ٤ ص ٤٥٢ ، حـ ٥ ص ٣١ ، ١٧٧

(٣) السخاوى : نفس المصدر حـ ١٠ ص ٢٧٣. Van Berchem : C.I.A., No. 305, pp. 439—457.
Hautecoeur & Wiet : Les Mosquèes du Caire, T. I, pp. 109, 122, 285.
Devonshire : Rambles in Cairo, p. 52.

(٤) ابن إياس : نفس المصدر السابق حـ ٣ ص ٩٠

(٥) ترجع كثرة إقطاعات الأمير يشبك إلى مكانته الممتازة والبارزة فى الدولة المملوكية الجركسية ، وإيثار السلطان قايتباى له لقوته ، وخدماته الجليلة فى داخل البلاد وخارجها ، وكثرة عدد مماليكه .

(٦) وثيقة استبدال من أوقاف المرحوم الأمير يشبك رقم ٥٠٦ ج أوقاف سطر ٣٠ — ٣٦

(٧) ابن الجيعان : التحفة السنية ص ١٣ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ١٦٩ ، ١٨٥ — ١٨٩ ، ١٩١—١٩٥ على التوالى .

وقد استبدل الأمير يشبك من أوقاف السلطان أبو المحاسن حسن بن قلاوون المنطقة المجاورة لمدرسته المعروفة بالقلعة ، حيث بنى يشبك بها سبيلا ومغسلا للأموات (١) ، وكانت قاعات البرابخية على شاطىء النيل ببولاق من جملة الأملاك التى آلت إليه كذلك عن طريق الاستبدال من القاضى علم الدين شاكر بن الجيعان فى سنة ٨٧٩ هـ (٢) .

وبلغ عدد مماليك الأمير يشبك أربعمائة مملوك — وهو عدد كبير بلا شك ، وقد أسهم بعضهم فى الدفاع عن سواحل مصر الشمالية ضد الفرنج وسفنهم التى كانت تقوم بأعمال القرصنة فى جهة الطينة شرقى بور سعيد فى سنة ٨٧٧ هـ (٣) — وهذا غير ما كان له من الجوارى والعتيقات — ومنهن ورد قان — والعتقاء الذين كان لهم نصيب فى أوقافه الكثيرة (٤) .

***

وقد بنى الأمير يشبك من مهدى عمائر كثيرة — دينية ومدنية وحربية — فى القاهرة وظاهرها وبالإسكندرية منها :

١ — الوكالة والربع بخان الخليلى بالقاهرة (٥) .

---

(١) وثيقة وقف السلطان حسن — محكمة رقم ٤٠ محفظة ٦ ، وقد ورد فيها نص الاستبدال على الهامش الأيمن .

عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار — العصر المملوكى (كتاب المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية) ص ٢٤٢ — ٢٤٥ وما بها من حواشى .

(٢) ابن إياس : نفس المصدر حـ ٣ ص ٩٣ ، حـ ٤ ص ١٥٣

عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى — المجلد الثانى — تحقيق رقم ٣٩١

(٣) تاريخ الأمير يشبك (مخطوط) ص ١٤ — ١٥

ابن أياس : نفس المصدر (ط. استنبول) حـ ٣ ص ٧٦ ، حـ ٤ ص ٤٢ ، حـ ٥ ص ٢٧٦ ، ٣٧٢ وكان السلطان جانبلاط من مماليك الأمير يشبك ، اشتراه وأقام عنده مدة ثم قدمه للسلطان قايتباى .

ابن إياس : بدائع الزهور (ط. بولاق) حـ ٢ ص ٣٧٠

(٤) وثيقة الست وردقان عتيقة يشبك من مهدى — محكمة رقم ٢٨٣ محفظة ٤٣

ابن أياس : نفس المصدر حـ ٥ ص ٢٧٦

(٥) السخاوى : نفس المصدر حـ ١٠ ص ٢٧٣

٢ – القبة بالريدانية (الحسينية) وهى المعروفة الآن بالقبة الفداوية بالعباسية[1] (٨٨٤–٨٨٦هـ/١٤٧٩–١٤٨١م) وكانت قبة وتربة جميلة من محاسن البناء فى ذلك المكان عند زاوية كهنبوش ، وقد رسم السلطان قايتباى فى رمضان سنة ٨٨٦ هـ للأمير تغرى بردى الاستادار بأن يكمل عمارتها ، لأن الأمير يشبك مات فى سنة ٨٨٥ هـ ولم يكن قد تم بناؤها [٢] .

٣ – القبة بالمطرية[٣] (٨٨١–٨٨٢هـ / ١٤٧٧م) وغيرها من الأماكن التى تفوق الوصف – بمنطقة كبرى القبة حالياً – حيث كان ينزل السلطان قايتباى أحياناً للنزهة والاستجام فى ضيافة الأمير يشبك [٤] .

٤ – الربع [٥] والحوض والسبيل ومكتب الأيتام ، ومغسل الأموات [٦] (٨٧٣ هـ / ١٤٦٩ م) بجوار مدرسة السلطان حسن بالقلعة ، وقد حصل للناس به غاية النفع لأجل تجهيز الموتى – ولا سيما الأفاقية الغرباء – من مال الأمير يشبك ، وذلك عندما اشتد الطاعون بمصر فى شعبان سنة ٨٧٣ هـ ، وفى شهرى ذى القعدة وذى الحجة سنة ٨٨١ هـ .

---

(١) ابن أياس : نفس المصدر حـ ٣ ص ١٥٥ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، السخاوى : نفس المصدر والجزء ص ٢٧٣ – ٢٧٤ ، حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية حـ ١ ص ٢٦٩ – ٢٧٢
Van Berchem : C.I.A., No. 339, pp. 514—515, No. 540, 541, pp. 748—780.
Creswell : A Brief chronology of the Muhammadan Monuments of Egypt, p. 145.

(٢) ابن إياس : نفس المصدر حـ ٣ ص ١٨٤

(٣) ابن إياس : نفس المصدر حـ ٣ ص ١٦٨ ، السخاوى : نفس المصدر حـ ١٠ ص ٢٧٤ ، حسن عبد الوهاب : نفس المرجع حـ ١ ص ٢٥٨ – ٢٦٠ Devonshire : op. cit., p. 98.

(٤) ابن إياس : نفس المصدر حـ ٣ ص ١٣٠

(٥) أحرق هذا الربع المجاور لمدرسة السلطان حسن ، فى أثناء فتنة الأمير أقبردى الدوادار فى ذى الحجة سنة ٩٠٢ هـ . ابن أياس : نفس المصدر حـ ٣ ص ٣٦١

(٦) ابن إياس : نفس المصدر حـ ٣ ص ٢٨ ، ١٢٠ – ١٢٢ ، السخاوى : نفس المصدر والجزء ص ٢٧٣ ، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ص ٧٠٣ – ٧٠٤

عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى – المجلد الأول – ص ٨٨ ، ١٧٨ – ١٧٩ وما بها من مصادر . وكذلك انظر :

وثيقة سبيل المؤمنين رقم ٨٨٤ أوقاف ، والتى قمت بنشرها فى المجلد الثانى من رسالتى لدرجة الدكتوراه فى سنة ١٩٥٦ ، صورة منها فى وثيقة الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف ص ٤٥٨ – ٤٨٤

عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار – العصر المملوكى – ص ٢٤٢ – ٢٤٥ وما بها من مصادر ، وثيقة السلطان حسن محكمة رقم ٤٠ محفظة ٦

٥ – المنارة أو المئذنة فى الطرف الجنوبى الغربى بمسجد الإمام الليث بن سعد [1] (٨٨٤ هـ / ١٤٧٨ م) .

٦ – برج أو قلعة الأمير يشبك بطرف لسان السلسلة بالاسكندرية[2] (٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) – وهى الموضوع الرئيسى الذى يدور حوله هذاالبحث .

* * *

ومهما يكن من شيء ؛ فان السخاوى المؤرخ المعاصر يقول إن الأمير يشبك لا زال يسترسل فى العمائر ، إلى أن اجتهد فى سنة ٨٨٤ هـ – والتى بعدها بل والتى قبلها – فى إلزام الناس باصلاح الطرقات والشوارع والأزقة وتوسعتها ، إلى أن أصلحت عامة الشوارع والطرقات ، وهدم لذلك كثيراً من الدور والحوانيت فى صفر سنة ٨٨٢ هـ وحصل بذلك نفع كبير [3] ، وقد أصلح الأمير يشبك كثيراً من المساجد والجوامع وجلا رخامها ، وبيض جدرانها التى تطل على الشوارع كما أصلح عتبة باب زويلة [4] ؛ وفى ذى الحجة سنة ٨٨٤ هـ قام باصلاحات كثيرة فى القلعة من بياض ودهان ، وضرب رنوك سلطانية ، وخاصة فى القصر الأبلق [5] .

***

والحقيقة أن الأمير يشبك كان بمثابة الساعد الأيمن للسلطان قايتباى فى سياسته الداخلية والخارجية ، بل لعله كان أقدر أمراء السلطان فى ذلك الوقت ، إذ عينه فى جمادى الأولى سنة ٨٧٥ هـ على رأس حملة كبيرة ضد سوار شاه ، على حدود الدولة المملوكية فى شمال الشام والعراق ، وفوض إليه أمر البلاد الشامية والحلبية جميعاً :

---

(١) حسن عبد الوهاب : نفس المرجع حـ ١ ص ١٩٩ – ٢٠٠

Ven Berchem : C.I.A., No. 412, pp. 598—599.

(٢) الوثيقة رقم ١٨٨ محفظة ٢٨ محكمة ، ٦٦ ج أوقاف .

عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى – المجلد الأول – ص ٣٩ ، ١٣٩

(٣) السخاوى : الضوء اللامع حـ ١٠ ص ٢٧٤ ، ابن إياس : بدائع الزهور حـ ٣ ص ١٢٣

(٤) ابن إياس : نفس المصدر السابق والجزء ص ١٣٤

(٥) نفس المصدر السابق والجزء ص ١٥٦

وقد استعمل يشبك فى هذه الحملة الحربية ، المكاحل التى ترمى بالحجارة على قلعة عينتاب الحصينة ، وتم له احتلالها فى صفر سنة ٨٧٦ ﻫ بعد قتال عنيف ، ولكنه قام بعد ذلك على مرمتها وتجديد عمارتها وإصلاحها ، وكتب على باب تلك القلعة إسم السلطان قايتباى ، ثم شحنها بالقمح والسلاح والرجال . وقد تمكن يشبك إبان هذه الحملة من أسر سوار شاه وإخوته ، وعاد بهم إلى مصر القاهرة ، حيث شنقوا على باب زويلة (١) .

وفى سنة ٨٧٧ ﻫ أرسله السلطان قايتباى على رأس حملة أخرى ضد حسن الطويل فانتصر عليه(٢) ؛ ولما كان الأمير يشبك — بطبعه — مغرماً بالحروب وتفقد التحصينات الحربية والقلاع ، فقد زار قلعة درنده المنيعة فى ٣ محرم سنة ٨٧٧ ﻫ (٣) .

وكثيراً ما استعان الأشرف قايتباى بالأمير يشبك فى القضاء على ثورات العرب أو العربان فى مصر ، بالشرقية فى شوال سنة ٨٧٩ ﻫ ، وبالوجه القبلى فى سنتى ٨٨١ ، ٨٨٢ﻫ (٤) .

وقد توجه يشبك فى سنة ٨٨٤ ﻫ إلى ثغر دمياط — وكان السلطان قد جعله متحدثا عليها — وهناك أنشأ على فم البحر الملح — عند برج الظاهر بيبرس البندقدارى سلسلة ضخمة من حديد زنتها ٢٥٠ قنطارا ، لمنع مراكب الفرنج الكبار من مهاجمة الثغر والسطو عليه ، فحصل بها النفع للمسلمين كما يقول ابن اياس (٥) .

---

(١) تاريخ الأمير يشبك (مخطوط) ص ١ — ٢ ، ٣٦ — ٤٠ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١١٩ — ١٣١ ، ١٣٧ ابن إياس : نفس المصدر السابق والجزء ص ٥١ ، ٥٦ ، ٥٩ — ٦٠ ، ٧٣ — ٧٥ طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٢٨ — ١٣٣ وعن قلعة عينتاب أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ﺣ ٤ ص ١٢١

(٢) ابن إياس : نفس المصدر والجزء ص ٧٨ ، ٨٢ — ٨٠ ، طرخان : نفس المرجع ص ١٣٥ — ١٣٨ .

(٣) تاريخ الأمير يشبك (مخطوط) ص ١٢٥

(٤) ابن إياس : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ص ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، بدائع الزهور (ط. استنبول) ﺣ ٣ ص ١٠١ ، ١١٥ ، ١٣٨ — ١٣٩ ، ١٤١ — ١٤٣

(٥) نفس المصدر السابق ﺣ ٣ ص ١٤٦

وفى سنة ٨٨٥هـ عينه السلطان لقتال « سيف » أمير آل فضل ، الخارج على السلطنة المملوكية شمالى الشام والعراق ، والذى قتل أزدمر نائب حلب [١] ؛ وفى ربيع آخر [٢] سنة ٨٨٥هـ خرج يشبك إلى دياربكر ، وعبر نهر الفرات إلى الرها لقتال يعقوب بك بن حسن الطويل ، ولكنه لم يعد إذ قتله — فى آخر رمضان سنة ٨٨٥ هـ — عبد من عبيد التركمان بأمر بايندر بعد أسره بالرها ؛ وكان يشبك قد بلغ من العمر آنذاك نحواً من ست وخمسين سنة .

ولما جاءت الأخبار فى شوال سنة ٨٨٥ هـ بقتله فى الرها ، اضطربت الأحوال ، وماجت القاهرة عن آخرها ، وكان يوماً مهولا على حد تعبير ابن إياس المؤرخ المعاصر ؛ وفى ذى القعدة وصلت جثته بغير رأسه فى سحلية ، فكفن ودفن فى تربته التى بناها بالعباسية عند زاوية كهنبوش ، ولم تكن قد تمت عمارتها ، فأكملها الأمير تغرى بردى الاستادار بأمر من السلطان قايتباى [٣] كما سبق القول .

***

ومهما يكن من أمر ، فقد كان الأمير يشبك مجتهداً — بحق — فى خلاص حقوق المسلمين ، حسن التدبير ، شهماً فاضلا عاقلا سديد الرأى ، وكان مسلماً متدينا فقد حج فى سنة ٨٥١ هـ ، كما عرف عنه التسامح مع أهل الذمة وفاء بعهدهم ، ورعاية مصالح رهبان الفرنسسكان [٤] حتى وفاته سنة ٨٨٥ هـ ؛ وكان أميراً جليلا معظماً فى سعة من المال ، عالماً بالفروسية وشئون الحرب والجهاد ، شجاعاً نافذ الكلمة ، سريع الحركة ؛ وله محاسن ومساوىء ، وفيه الخير والشر [٥] .

---

(١) نفس المصدر السابق والجزء ص ١٦١ ، طرخان : نفس المرجع ص ١٣٨ — ١٣٩

(٢) لا شك أن خروج الأمير يشبك من القاهرة كان بعد اليوم التاسع من ربيع الآخر سنة ٨٨٥ هـ ، وهو تاريخ تحرير وكتابة وثيقة الوقف رقم ١٨٨ محكمة محفظة ٢٨ ، أنظر الوثيقة سطر ١٩٣ .

(٣) ابن إياس : نفس المصدر السابق والجزء ص ١٦٢ ، ١٦٥ — ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٨٤

(٤) دراج : المماليك والفرنج ص ١٠٤ ، السخاوى : نفس المصدر ح ١٠ ص ٢٧٣

(٥) تاريخ الأمير يشبك (مخطوط) ص ١٠٤ ، ١٠٦ — ١٠٧

ابن إياس : نفس المصدر والجزء ص ١٦٨

وكان الأمير يشبك من مهدى يحب العلماء والفقهاء ويقدرهم ويرعاهم ، وقد اقتنى الكثير من الكتب القيمة والنفيسة التى ألفت فى عصره وقبل عصره شراء واستكتابا ، وكان يرغب فى كتب المؤرخ السخاوى الذى اجتمع به مراراً (١) .

***

ومن أهم حسنات الأمير يشبك ، أنه جاد ببعض ماله للانفقاق فى سبيل الله ، وبنى هذه القلعة الحربية بالاسكندرية ، ووقف عليها أوقافاً كثيرة (٢) تدر ريعاً كبيراً ، لينفق منه على المجاهدين ولإمدادهم بالمال (جوامك أو رواتب شهرية) والسلاح والطعام ، من أجل الدفاع عن مصر — الوطن الذى عاش فيه وانتمى إليه ، ووصل فيه إلى مركز كبير فى الدولة — وهذا دليل أكيد على إخلاصه التام

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع حـ ١٠ ص ٢٧٤ ، ابن أياس : بدائع الزهور (ط. بولاق) حـ ٢ ص ٢١٥

عبد اللطيف إبراهيم : دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية — المكتبة المملوكية — ص ٣٢ حاشية ٤ . هذا وقد رفع « القدسى » (ق ٩ هـ) كتابه « دول الإسلام الشريفة البهية » بعد أن فرغ من تأليفه فى سنة ٨٨١ هـ إلى الأمير يشبك من مهدى — مخطوط رقم ١٠٣٣ بدار الكتب المصرية .

(٢) من المعروف أن من أهم التزامات الأمير فى الدولة المملوكية — وهى دولة إقطاعية — القيام بالخدمة الحربية ، التى هى الأساس الأول لحيازة الإقطاع ؛ ولذلك تحولت كثير من الإقطاعات فى العصر المملوكى إلى أوقاف خيرية — مساهمة من الأمراء فى الخدمات العامة — لأغراض دينية واجتماعية وحربية مثل حماية السواحل والثغور من غارات الفرنج الصليبيين ، بإقامة الأبراج وشحنها بالسلاح وتجهيز المقاتلين ، وفك أسرى المسلمين ، ووفاء دين المديونين ، وللفقراء والمساكين ، والأرامل والأيتام ، والمنقطعين والعميان ، وأصحاب العاهات وذوى الحاجات من أرباب البيوتات ، وكسوة العرايا والمقلين وستر عورات الضعفاء والعاجزين ، وارضاع الأطفال عند فقد الأمهات أو عجزهن عن الإرضاع ، وتكفين أموات الفقراء من المسلمين ، وإعتاق من أمكن إعتاقه من الرق ، وخلاص المسجونين والصرف على المحابيس بالحبوس (السجون) بالديار المصرية فى سجن الرحبة والديلم والمقشرة ، وللإنفاق على الأضرحة والمساجد والبيمارستانات ، ورعاية الأطفال بمكاتب الأيتام فوق الأسبلة ، وطلاب العلم فى المدارس ، والصوفية فى الخوانق وغير ذلك . وثيقة قراقجا الحسنى أوقاف ٩٢ سطر ٢١٠ — ٢١١ ، وثيقة حسام الدين لاجين محكمة ١٧ ، ١٨ . وثيقة شعبان بن حسين محكمة ٤٩ ، وثيقة بيبرس الجاشنكير محكمة ٢٣ ، وثيقة محمد بن قلاوون محكمة ٢٥ ، ٣٠ ، وثيقة السلطان حسن أوقاف ٨٨١ ص ٤٧٢ — ٤٧٣ ، وثيقة فرج بن برقوق محكمة ٦٦ ، وثيقة السلطان جقمق محكمة ٩٧ ، وثيقة قراجا الجمالى محكمة ١٧٧

Poliak : Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and Lebanon (1250—1900), p. 37.

لمصر قلب الأمة العربية والعالم الاسلامى ؛ وفهمه الواعى الظروف السياسية والاقتصادية والحربية الخطيرة التى كانت تمر بها الدولة المملوكية فى العصر الذى عاش فيه أواخر أيام الجراكسة ، وخبرته الطويلة بشئون الدفاع وتدبير الحروب والتعبئة لها ، وإقامة التحصينات والقلاع الحربية — التى كان مغرماً بها كما تدل على ذلك الحوادث المختلفة فى حياته — واختياره الموفق لذلك الموقع الهام والحصين ، أو تلك المنطقة الاستراتيجية التى بنى فيها قلعته (البرج الصغير) فى طرف السلسلة فى مواجهة قلعة السلطان قايتباى ، لكى تتحكم القلعتان فى مدخل الميناء الشرقى لحمايته ، وللدفاع عن مدينة الإسكندرية — أهم ثغور المملكة الشريفة الاسلامية — لأن فى ذلك دفاع عن النفس والمال والوطن والدين [1] .

***

وبعد — فمما لا شك فيه أنه كان للعرب والمسلمين دور بارز فى الحروب التى دارت رحاها إبان العصور الوسطى وبخاصة الحروب الصليبية التى كان لها أثرها الكبير فى تنشيط العمارة الحربية من أسوار وأبراج وقلاع ؛ ولقد كتب العرب والمسلمون فى موضوعات كثيرة مختلفة تدور حول الحرب وأدواتها وأساليبها[2] .

وكذلك اهتم الحكام من الخلفاء والسلاطين والأمراء ، بتحصين السواحل والثغور الهامة فى مصر والشام لحماية البلاد من الغزوات الأجنبية الصليبية ، وقراصنة البحر من الفرنج القبارصة والجنوية والكيتلان [3] والروادسة وغيرهم ، وبنوا

---

(١) إن القتال فى الإسلام بمعنى الجهاد أو الحرب ، لم يكن هجومياً وإنما كان دفاعياً بمعنى القيام بدفع القوة بالقوة ، والقضاء على محاولات القوى الصليبية العدوانية وقمعها .

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » سورة الحج الآية ٣٩

« فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » سورة البقرة الآية ١٩١

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » سورة البقرة الآية ١٩٠

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » سورة البقرة الآية ١٩٤

(٢) عبد الرحمن زكى : مراجع فى تاريخ العرب الحربى (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد — مج ١٤) ص ١٦٥ — ١٩٨ ، عبد الرءوف عون : الفن الحربى — دار المعارف القاهرة ١٩٦١

(٣) هذا الرسم هو ما درجت عليه بعض وثائق العصور الوسطى ، التى أصدرها السلطان قانصوه الغورى إلى حاكم راكوزه (دبروفنيك) فى شوال سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م — أنظر بسيم قرقوت : الوثائق العربية فى دار المحفوظات بمدينة دوبروونيك المعهد الشرقى سراييو ١٩٦٩ يوغسلافيا الكتاب الأول حـ ٣ ص ٢٤ سطر ٢٤ اللوح رقم ٢ / ٣ ، ص ٣٩ سطر ١٥ اللوح رقم ٣ / ٢

المحارس والربط والأبراج والقلاع ، لإقامة المرابطين والمقاتلين فى كثير من الموانى ، من أهمها ثغر أو ميناء الاسكندرية الذى يعتبر أهم ثغور مصر الإسلامية ، وقاعدة بحرية عربية فى البحر المتوسط [1] . ومن المعروف أن الإسكندرية كانت قاعدة هامة للأسطول العباسى ، ومركزاً رئيسيا للحملات المتوجه إلى المغرب [2] ؛ وبعد الفتح الفاطمى لمصر ، كانت الاسكندرية موضع رعاية كثير من الخلفاء الفاطميين[3] ، والسلاطين من آل أيوب [4] ، منذ الغزوة الفاشلة التى قام بها وليم الثانى النورماندى ملك صقلية على الإسكندرية فى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م ، والتى نزلت بالقرب من ساحل المنار ، أى فى المنطقة المعروفة ببحر السلسلة ، وانتهى أمرها بالهزيمة [5] .

***

ومع قيام دولة المماليك فى مصر ، تركزت جهود السلاطين فى العناية بالثغر المحروس عناية دائبة متصلة [6] ، للدور الكبير الذى لعبته هذه المدينة الباسلة فى العصر المماليكى بشقيه – البحرى والجركسى – سياسياً واقتصادياً وحربياً ؛ فقد

(١) سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى (ط. ثانية ١٩٦٩) ص ٩١ ، ٩٦ ، ١٠٩ وما بها من مراجع ، سيدة كاشف وحسن محمود : مصر فى عصر الطولونيين والإخشيديين ص ٢١٧ – ٢١٨

(٢) سالم : نفس المرجع السابق ص ١٢٠ ، ١٢٢ وما بها من مراجع .

(٣) سالم : نفس المرجع ص ٢٠١ – ٢٠٢ وما بعدها ، ص ٢١٤ وما بها من مراجع .
سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ١٤٩ – ١٥١ ، ١٥٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٣ – ٥٢٤ .

(٤) سالم : نفس المرجع ص ٢٤٣ ، ٢٦٥ وما بعدها .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب (نشر الشيال) ص ١٣ – ١٦ ، المقريزى : السلوك (نشر زيادة) ج ١ ص ٥٣ – ٥٧ ، ابن شداد ؛ النوادر السلطانية ص ٤١ ، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٢٧٢ ، الشيال : تاريخ مدينة الإسكندرية ص ٦٧ ، ٦٩ – ٧١ ، الاسكندرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى ص ٩٤ ، سالم : نفس المرجع ص ٢٦٧ .
Lanepoole: Saladin P. 129.

(٦) المقريزى : السلوك ج ١ ص ٥٤٣ ، الشيال : تاريخ مدينة الإسكندرية ص ١٣٠

كانت هذه المدينة هدفا للقبارصة إذ قام بطرس الأول لوزنيان (١) بحملته الصليبية الكبرى المشهورة عليها ، وأرسى الأسطول الصليبي فى الميناء الشرقى ببحر السلسلة — وكان مخصصاً لرسو السفن الأجنبية — ونجح الغزاة فى دخول الميناء بسرعة وسهولة واطمئنان ، بسبب غياب الأمير خليل بن عرام والى الاسكندرية بالحجاز أثناء الحج ، ولضعف التحصينات الحربية ، وقلة المدافعين ورجال الحراسة (٢) ، وكان ذلك فى محرم سنة ٧٦٧هـ / أكتوبر ١٣٦٥ م (٣) زمن السلطان الغلام الأشرف شعبان ابن حسين ، إذ هاجم القبارصة وغيرهم من الصليبيين (٤) المدينة على حين غفلة ، وملكوها أياما سوداء وعاثوا فيها فسادا ، ورحلوا عنها عندما علموا بقدوم جيش المماليك بقيادة الأمير يلبغا الخاصكى إليها ، بعد أن خربوا وحرقوا وقتلوا ونهبوا وأسروا بعنف وضراوة ، فقد كانت هذه الواقعة من أشنع ما وقع بمدينة الإسكندرية على حد قول المقريزى .

وقد تفقد السلطان شعبان المدينة بعد هذه الغزوة ، كما زارها بعد ذلك مرة ثانية فى سنة ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م . والحقيقة أن أهمية مدينة الإسكندرية قد زادت فى نظر سلاطين المماليك — البحرية ثم البرجية — فوق أهميتها منذ تلك

---

(١) من المعروف أن بيت لوزنيان فى قبرص ، كان عدواً خطيراً للسلطنة المملوكية ، وكان يعمل على هدمها اقتصادياً وعسكرياً ، باعداد حملات صليبية للهجوم على سواحل مصر والشام ، بسبب تحكم المماليك فى كثير من الطرق التجارية بين الشرق والغرب ، فضلا عن الحقد الصليبى الدفين الذى عرف عن هذا البيت ضد المسلمين بعامة والمماليك بخاصة .

(٢) Atiya : The crusade in the later middle ages, p. 353—354.

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٠٥ ، ١٢٢٥ — ١٢٢٧ ، العصر المماليكى فى مصر والشام ص ١٣١ — ١٣٣ ، قبرص والحروب الصليبية ص ٦٢ — ٦٩ ، سالم : تاريخ الاسكندرية ص ٣٠٩ ، ٣١٣ وما بعدها ، الشيال : تاريخ مدينة الإسكندرية ص ١٣٨ — ١٤٠ ، الاسكندرية — طبوغرافية المدينة وتطورها ص ٢٣٤ — ٢٣٥ وما بها من مراجع ، عبد الرحمن زكى : غزوة الاسكندرية (المجلة التاريخية المصرية مج ٤ عدد ٢) ص ١٢٣ — ١٤٨ ، حسن حبشى : هجوم القبارصة على الإسكندرية (المجلة التاريخية المصرية مج ١٥) ص ١ — ٢ ، ١٦ — ٢٠ ،

Atiya : op. cit., pp. 366—367.

Hill : A history of Cyprus, vol. II, pp. 329, 331—333, 337.

٤ — اشتركت كل من البندقية وجنوة ورودس فى حملة القبارصة على الإسكندرية ، مما أدى إلى اضطراب العلاقات التجارية بينهم وبين المماليك زمناً إلى أن جددت فى سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م .

Depping : Histoire du Commerce, I, p. 116.

الغزوة القبرصية الصليبية وغيرها ، وأحسوا بضرورة تحصينها والعناية بالدفاع عنها ، ولذلك رفعت ولايتها – منذ ذلك الوقت – إلى نيابة يقوم عليها أمير مائه مقدم ألف [1] . أما فى عصر المماليك الجراكسة فقد زار مدينة الإسكندرية السلطان فرج بن برقوق فى سنة ٨١٤ هـ / ١٤١١ [2]، ذلك أن السواحل والثغور فى مصر والشام ، قد واجهت عمليات قرصنة صليبية عنيفة فى عهد السلطان برقوق وابنه فرج [3] ، فقد نهب الفرنج الإسكندرية فى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م ، وطرابلس فى سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م ، كما هجم اسطول قبرصى مكون من أربعين سفينة على ميناء بيروت ، وعاث الصليبيون فيها فساداً وكذلك فيما حولها إلى صيدا وطرابلس [4] .

وقد استمر هجوم القراصنة الصليبين على الموانى والثغور فى سواحل الدولة المملوكية المطلة على البحر المتوسط ، وكانت مراكزهم فى كل من جزيرتى قبرص ورودس ، حتى اتفق السلطان المؤيد شيخ المحمودى مع جانوس لوزنيان ملك قبرص على عدم إيواء القراصنة ، وتم الصلح بينهما فى سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م ، ولكن القراصنة الكيتلان استمروا فى الإغارة على الموانى وبخاصة ميناء الإسكندرية حيث كانوا يقتلون وينهبون ويسلبون كما حدث فى السنوات ١٤١٦ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ م [5] .

ويظهر أن الظروف الخاصة التى أحاطت بدولة المماليك الجراكسة منذ الربع الأخير من القرن ٩ هـ / ١٥ م وأوائل القرن ١٠ هـ / ١٦ م ، قد دفعت السلاطين إلى التردد على مدينة الإسكندرية ، فقد زارها قايتباى فى سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م ثم فى سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م عند الإنتهاء من عمارة البرج الأشرفى الكبير أو قلعة

---

١ – القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٦٣ ، ٦٤ ، جـ١١ ص ٤٠٥ ؛ الشيال : الاسكندرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى ص ١٠١ ، عبد الرحمن زكى : غزوة الاسكندرية ص ١٣٦

٢ – الشيال : تاريخ مدينة الاسكندرية ص ١٤٩

٣ – سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٢٦٨ – ٢٦٩

٤ – أحمد دراج : المماليك والفرنج ص ٢٢

Weil : Geschichte des Abbasiden Chalifats in Egypten, II, p. 170.

٥ – دراج : نفس المرجع ص ٢٢ – ٢٣ ، ٢٥ – ٢٦

قايتباى ، وكان بصحبته فى تلك الزيارة الأمير يشبك من مهدى الدوادار [١] ؛ وكذلك قام الأشرف قانصوه الغورى فى نهاية عهد الجراكسة بزيارة للإسكندرية مرتين فى سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م حيث كشف على الأبراج والقلاع التى بها ، وتفقد أحوالها ، وأمر بترميمها [٢] .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان إقبال المسلمين على المرابطة بالثغور وبخاصة فى ثغر الإسكندرية ، أمراً ملحوظاً طوال العصور الوسطى ، مع كفالتهم وتجهيزهم بالأسلحة وآلات الحرب المختلفة [٣] .

***

والحقيقة أن السواحل المصرية والشامية كانت — على سواء — هدفاً لاعتداءات متكررة من جانب الصليبيين القبارصة والكيتلان وغيرهم ، طوال العصر المملوكى الثانى أو الجركسى [٤] ، وذلك بسبب سيطرة المماليك على التجارة العالمية وطرقها الرئيسية ، وتحكمهم فى أسعارها ، وفرض الضرائب المرتفعة على التجار الفرنج ، والبضائع المختلفة الشرقية والغربية فى الموانى المملوكية .

فى عهد السلطان برسباى هاجم القراصنة القبارصة والكيتلان — بعنف وضراوة — شواطى مصر والشام (الاسكندرية وبيروت) فى شعبان سنة ٨٢٥ هـ/١٤٢٢ م ، كما أغاروا على سفينة مصرية كانت راسية فى ميناء الإسكندرية وأحرقوها ، وفى رجب سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م أستولى جماعة من القراصنة كذلك على سفينتين مصريتين بما فيها من بضائع قرب ثغر دمياط ، واسروا عدداً من المسلمين [٥] .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٤٢٦

(٢) ابن إياس : نفس المصدر السابق والجزء ص ٤٢٥ ، ٤٧٦

أنظر مرسوم الغورى فى قلعة قايتباى بتاريخ ربيع الأولى سنة ٩٠٧ هـ .

Van Berchem : C.I.A., No. 321, p. 490.

Ayalon : Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom, p. 112.

(٣) السيوطى : رسالة فى فضل ثغر الإسكندرية (مخطوط بمكتبة الأزهر رقم ١٣٧٤)ص ٥٧-٦١

(٤) دراج : نفس المرجع ص ٢٢ — ٢٨ ، ١٠٥ — ١٠٧

سالم : تاريخ الإسكندرية ص ٣٨٧ — ٣٨٨

Ziada : Foreign relations of Egypt in the 15th cent, pp. 244—245.

(٥) المقريزى : السلوك (خط) جـ ٤ قسم ٥ ورقة ٣٥٢ ، ٣٦٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (ط. Popper) جـ ٦ ص ٥٦١ ، دراج : المماليك والفرنج ص ٣٢

وقد استمرت غارات القراصنة الكيتلان على الموانى المصرية ، ففى المحرم سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م هاجموا ميناء أبي قير بالإسكندرية ، واستولوا على سفينتين وأحرقوا واحدة منهما ، ثم أغاروا بعد ذلك على ميناء الإسكندرية نفسه (١)، ولم ينقطع عبث سفن الكيتلان بالشواطىء السورية كذلك إذاستولوا على تسع سفن أمام ميناء طرابلس ، وخمس سفن أخرى أمام ميناء بيروت (٢).

والحقيقة أن جزيرتى قبرص ورودس – بوجه خاص – كانتا من أخطر الأوكار الصليبية فى شرق البحر المتوسط ، وملجأ لعصابات القراصنة التى كانت تهاجم السواحل والثغور الإسلاميه .

وفى عهد السلطان جقمق أغار الفرنج على ثغر رشيد فى سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م ، كما هاجمت سفنهم المسلحة فى العام التالى (٨٥٥هـ) ثغر صور على الساحل الشامى ، وميناء الطينة فى الساحل المصرى (٣) .

ولا غرابة فى أن بعض القوى الصليبية ، قد قامت بمحاولات أخرى لضرب الدولة المملوكية ، وذلك عن طريق إحياء الطرق البرية التجارية التى تبعد عن المدن والموانى المملوكية – مثل طريق فارس وغيره – من أجل خنق مصر اقتصادياً تمهيداً للقضاء عليها عسكريا وسياسياً (٤) .

وفى آخر عهد الأشرف اينال ، أغار الفرنج على السواحل المصرية فى شعبان سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٩ م ، وقد أدت هذه الغارة وغيرها إلى اهتمام المسئولين بحماية السواحل الإسلامية عامة من الصليبيين والقراصنة ، فقد توجه بعض المماليك فى سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م للكشف عن مكان على ساحل البحر المتوسط فى جهة الطينة ، لكى ينشىء به السلطان اينال – وهو فى نهاية أيامه – برجاً حربياً للدفاع عن السواحل المصرية التى كان الفرنج يهاجمونها باستمرار (٥) .

---

(١) المقريزى : نفس المصدر السابق جـ ٤ قسم ٦ ص ٣٢٧

(٢) المقريزى : نفس المصدر السابق جـ ٤ قسم ٦ ص ٤١٨

(٣) دراج : نفس المرجع ص ٦٧ – ٦٨

(٤) Atiya : op. cit., pp. 34—45, 118—124.

(٥) ابن إياس : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ص ٦٤ ، ٦٨ ، ٨٣ ، دراج : نفس المرجع ص ٩٠ – ٩١

وقد أغار فرسان رودس فى عهد السلطان خشقدم ، على بعض السفن الإسلامية التى كانت تحمل جماعة من التجار المغاربة — أثناء مرورها بالقرب من جزيرتهم[١]

ومن المعروف أن علاقة الدولة الجركسية بجنوة ، لم تكن على ما يرام بسبب أعمال القرصنة التى قام بها بحارة جنوة فى مياه شرق البحر المتوسط ضد السفن التجارية المملوكية .

وفى زمن الأشرف قايتباى تعددت حوادث القرصنة على السواحل والموانى المصرية [٢] ، فقد قام الكيتلان بمهاجمة ثغر الإسكندرية فى سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م ، كما قامت بعض سفن الفرنج فى سنة ٨٧٧ هـ / ٧٢–١٤٧٣ م بالعبث فى مياه الإسكندرية والطينة ودمياط ، مما دفع السلطان إلى مطاردتهم فى البحر المتوسط[٣] . وفى سنة ٨٨٠ هـ / ١٤٧٦ م أغار قراصنة البروفنسال وغيرهم على ثغر الاسكندرية ، وخطفوا بعض البحارة المسلمين ، وأعيان التجار ومنهم التاجر الساطانى ابن علبية وغيره ؛ ولذلك قبض السلطان قايتباى على التجار الفرنج وصادرهم [٤] ، وهى عادة درج عليها سلاطين المماليك — قبل وبعد عصر قايتباى — فى مثل هذه الأحوال كما هو معروف ومتواتر على ذكره فى المصادر التاريخية المعاصرة .

وكل هذه الأحداث نبهت السلطان قايتباى وأمراء عصره إلى وجوب الإهتمام بتحصين سواحل البلاد فى مصر والشام — كما سنرى — وإقامة القلاع والأبراج فى الثغور والموانى [٥] .

أما عصر الأشرف قانصوه الغورى فقد امتلأ بحوادث القرصنة [٦] ، فقد هاجم الروادسة سفينة مملوكية فى ميناء قبرص سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ، واستولوا عليها

---

(١) دراج : نفس المرجع ص ٩٤

(٢) دراج : نفس المرجع ص ١٠٣

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٥–٨٦ ، دراج : نفس المرجع ص ١٠٥ – ١٠٦

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٥٢٢ ، ابن اياس : نفس المصدر جـ ٣ ص ١١٠–١١٥ ، ٢٠٢
Heyd : Histoire du commerce du levant au moyen ages, II, p. 496.

(٥) طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٣٢٣

(٦) ابن إياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٩٨ ، ١٦٤ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٠٥

وقادوها إلى جزيرة رودس (١) ، وفى سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٩ م أغار الفرنج على ميناء الطينة (٢) ، وفى سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م هاجم فرسان رودس سفناً مملوكية محملة بالأخشاب فى خليج إياس (٣) ، كما أغار الفرنج على سواحل بحيرة البرلس فى العام التالى ٩١٧ هـ / ١٥١١ م (٤) .

***

ومهما يكن من شىء ، فقد تركز الصراع بين المماليك الجراكسة والصليبيين فى حوض البحر المتوسط الشرقى ، ثم بينهم وبين البرتغاليين فى المحيط الهندى والمدخل الجنوبى للبحر الأحمر (٥) ، مما حتم على المماليك منذ عهد السلطان جقمق ومن جاء بعـــده بل ومن جاء قبـــله من السلاطين ، الاهتمام بالسواحل والثغور الإسلامية فى مصر والشام والبحر الأحمر ، حيث تمر تجارة الشرق الغنية ، مع الاهتمام ببناء الأساطيل لحماية الموانى ، ولتدعيم التجارة باعتبارها عماد الاقتصاد المملوكى ، لما تدره من أموال طائلة على الخزانة السلطانية ؛ ولذلك حرم المماليك على الفرنج وتجارهم ، التوغل فى أراضى الدولة أو ركوب البحر الأحمر (٦) ، خوفاً من نشاطهم السياسى والتجارى والدينى التبشيرى .

لقد لقى المسلمون عامة والمماليك خاصة ، متاعب كثيرة من البرتغاليين فى المياه الشرقية (الهندية) وفى مدخل البحر الأحمر — وذلك لأن المماليك فرسان وقوتهم الضاربة تتركز فى البر وليست فى البحر — مما أدى إلى قلة الوارد من بضائع الشرق وارتفاع أثمانها ؛ ذلك إن البرتغاليين كانوا يهدفون إلى ضرب القوى الإسلامية اقتصادياً ، ويتضح ذلك من من مهاجمتهم للسفن والقوافل

---

(١) دراج : نفس المرجع ص ١٣٩

(٢) ابن إياس : نفس المصدر ج ٤ ص ١٤٦ ، دراج : نفس المرجع ص ١٤١

(٣) دراج : نفس المرجع ص ١٤٢ — ١٤٣

(٤) ابن إياس : نفس المصدر والجزء ص ٢٢٠

(٥) Ayalon ; op. cit. pp. 49-50, 113

(٦) من المعروف أن هذا المبدأ قد تقرر منذ قيام إرناط (ريجنولد) الصليبى المتصعب وصاحب حصن الكرك ، بحملته البرية على بلاد الحجاز فى سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م ، ثم بحملته البحرية فى العام التالى على ميناء عيذاب بالبحر الأحمر .

دراج : نفس المرجع ص٥١ Kammerer : La mer rouge, I, p. 59—62.

التجارية المملوكية ، ومحاولة النفوذ إلى البحر الأحمر ، الذى يعتبر بحيرة مملوكية؛ والوصول إلى الأماكن الإسلامية المقدسة فى الحجاز تنفيساً عن عاطفتهم الصليبية، ومن ثم فهى حرب صليبية اقتصادية فى آن واحد (١) .

وهذه كلها فى الواقع أمور خطيرة ، كان من شأنها قلب ميزان القوى فى الشرق الأوسط كله تقريباً ، وخاصة بعد هزيمة المماليك فى موقعة ديو البحرية سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م هزيمة ساحقة (٢) ، وهو حادث جالل من أخطر الحوادث فى تاريخ الدولة المملوكية ، إذ أدى إلى انهيارها اقتصادياً ثم إلى زوالها بعد سنوات، من عالم الوجود السياسى على أيدى العثمانيين فى سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م .

ومن المعروف أنه بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، جدد البنادقة التفكير فى المشروع الخاص بوصل البحرين الأحمر والمتوسط ، وتبادلت كل من جمهورية البندقية التجارية ومصر المملوكية ، السفارات الدبلوماسية للتشاور فى الطريقة التى يمكن بها الحفاظ على البحر الأحمر ، طريقاً للتجارة العالمية بين الشرق وأوربا تحت النفوذ المملوكى والمصالح البرجوازية المشتركة ، ولكن هذه الفكرة لم تتم (٣) .

ومهما يكن من أمر ، فقد عمل المماليك على مضاعفة جهودهم الحربية لمواجهة البرتغاليين ، وحماية مدخل البحر الأحمر وإغلاقه إغلاقاً محكماً ، وحراسته حراسة قوية ، تتفق مع هذه الظروف الخطيرة التى كانت تمر بها دولتهم ، وقاموا بتحصين كثير من الموانى والثغور الإسلامية فى البحر الأحمر

---

١ — دراج : نفس المرجع ص ١٢٨ — ١٢٩ ، ١٣٦ — ١٣٧ شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية (الترجمة) ص ١٤٨ — ١٥١ وما بعدها .

Stripling : The Ottoman Turks. p. 28.
Heyd : op. cit., II, pp. 515—516, 518—519.
Kammerer : op. cit., II, p. 144.

(٢) ابن إياس : نفس المصدر جـ ٤ ص ٨٣ ، ٩٥ — ٩٦ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٥٦
Lane poole : op. cit., pp. 350—352.

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ١٩١ — ٢٠٥ ، دراج : نفس المرجع ص ١٣٥ ، ١٤٦ — ١٤٧

Kammerer : op. cit. II, p. 141.
Heyd : op. cit. II, pp. 521—526, 541—542, 552,.
Hammer : Histoire d l'empire Ottoman, II, pp. 141—142, 168—172 ff.

ضد القوى البرتغالية والحبشية (١) ، فبنوا الأسوار والقلاع فى جدة وينبع بالحجاز — بل وفى العقبة وعجرود — لدفع خطر الفرنج البرتغاليين (٢) ، وذلك لأن الحجاز — بسواحله الطويلة على البحر الأحمر — كانت له أهميته الكبيرة فى منع تسرب النفوذ البرتغالى فى البحر الأحمر شمالا — باعتباره خط دفاع ثان — فضلا عن كونه قاعدة ارتكاز حيوية لمصر سواء من الناحية الدفاعية أو الهجومية لمحاربة النفوذ البرتغالى ، هذا بالإضافة إلى وجود الأماكن الإسلامية المقدسة به فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة .

***

ولقد وصلتنا مجموعة من الوثائق التاريخية الهامة ، توضح لنا حالة الدولة الجركسية آنذاك ، واضطرار سلاطين المماليك إلى بيع عقارات وأراض من أملاك بيت المال المعمور أحياناً لمن يريدها ، من أجل الحصول على الأموال اللازمة للدفاع عن حدود الدولة المملوكية ، وسواحلها فى مصر والشام والحجاز ، وحماية الثغور وتحصين الموانى ، وإعداد الغزاة والمجاهدين فى سبيل الله .

وقد أجازت الشريعة الإسلامية لولى الأمر (السلطان) حق التصرف بالبيع والإقطاع فى الأراضى التى لا مالك لها (المباحة) ، أو التى يموت عنها صاحبها دون وريث شرعى (٣) . كما أنه كان لصاحب الإقطاع الذى يتخلى عنه لبيت المال — لسبب أو لآخر — بمحض اختياره ، الحق فى أن يشتريه بعد ذلك على أنه ملك طلق أو حر . وفى أواخر عصر المماليك الجراكسة فى مصر بيعت كثير من الأراضى من أملاك بيت المال المعمور ، للأمراء المماليك وغيرهم من أرباب العمائم والتجار — الذين اشتروها شراء حراً وملكوها ملكاً طلقاً — بسبب الظروف

(١) أحمد دراج : نفس المرجع ص ١٠ ، ٦٦ ، ١٣٧
Kammerer : op. cit. I, pp. 254—256, II, pp. 247—259.
Budge : A history of Ethiopia, vol. I, pp. 330—331.

(٢) ابن اياس : نفس المصدر ج ٤ ص ٨٤ ، ٩٥ — ٩٦ ، ٢٨٦-٢٨٧ ، ٣٣١ ، ج ٥ ص ٨١ ، ١٥١ — ١٥٢

(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٧١ — ١٧٢
Demombynes : La Syrie à l'epoque des Memlouks, Introduction, pp. XLVI—XLVII,

السياسية والمالية والحربية التى كانت تمر بها الدولة المملوكية فى أواخر عهدها [1].

وقد استند السلاطين فى ذلك — عند الحاجة والضرورة — إلى قاعدة شرعية قديمة فى حكم البيع من أراضى بيت المال ، إذ جوزه بعض الفقهاء ورفضه البعض الآخر ، ومنهم المؤرخ ابن تغرى بردى [2] .

وتمدنا هذه الوثائق — المحفوظة فى الأرشيف التاريخى لوزارة الأوقاف ومحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة — بكثير من النصوص الهامة التى تدور حول هذا الموضوع ، ومنها وثيقة من عهد السلطان جقمق جاء فيها ما نصه : « .. وابيع ذلك لما دعت الضرورة فى بيعه ليصرف ثمنه فى مصرفه الشرعى » [3] .

ومن المعروف أن الظاهر جقمق قام بثلاث غزوات ضد جزيرة رودس[4] فى سنى ١٤٤٠ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ م كنوع من الحرب الوقائية أو الدفاعية عن الدولة المملوكية ضد تلك الجزيرة التى كانت تعتبر وكراً صليبياً خطيراً ، يجب تدميره والقضاء عليه ، كما فعل السلطان برسباى مع جزيرة قبرص من قبل .

أما عهد الأشرف اينال فقد وصلتنا منه ثلاث وثائق [5] ، ورد التصرف فيها بالبيع لبعض الأعيان من أملاك بيت المال المعمور ، وكان تبرير ذلك البيع هو « ... وابيع ذلك لما دعت الضرورة فى بيعه ليصرف ثمنه فى كلفة الغزاة والمجاهدين المتوجهين لحفظ ثغور الاسلام وسواحله على الوجه الشرعى »وإلى

(١) ابن الجيعان : التحفة السنية ص ٥ ، ١١ ، ١٩٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ١١٣ — ١١٧

الباز العرينى: الإقطاع الحربى بمصر زمن سلاطين المماليك ص٢٣—٢٤ ، Poliak : op. cit. 34-36

عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة بيع ص ١٧٧ — ١٧٨

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (ط . دار الكتب) ج ٩ ص ٥٠

(٣) وثيقة بيع رقم ١١١ محفظة ١٨ محكمة سطر ٥٠ — ٥١ بتاريخ ١٩ ذى القعدة سنة ٨٥٥ هـ

(٤) زيادة : المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس — مجلة الجيش سنة ١٩٤٦ ،

دراج : نفس المرجع ص ٥٥ — ٥٨ ، طرخان : نفس المرجع ص ١٠٥ — ١١٠

(٥) وثيقة بيع رقم ٦٤٣ ج أوقاف بتاريخ ١٣ جماد أول سنة ٨٦٣ هـ .

وثيقة بيع رقم ١٢٢ محفظة ٢٠ محكمة سطر ٧٣ — ٧٤ بتاريخ ١٨ جماد أول سنة ٨٦٤ هـ .

وثيقة بيع رقم ١٧٦ محفظة ٢٧ محكمة سطر ٦٠ — ٦١ بتاريخ ٢٧ ذى الحجة سنة ٨٦٤ هـ .

مثل ذلك تشير خمس وثائق [1] من عصر السلطان خشقدم الرومى ، فقد نصت كل منها على تبرير التصرف بالبيع فى بعض أملاك بيت المال من أجل كلفة الغزاة وتجهيز المجاهدين .

وبالرغم من طول المدة التى حكمها السلطان قايتباى المحمودى ، إلا أنه لم تصلنا من عهده سوى وثيقة واحدة ، بالرغم من أنه كان — هو وأمراء عصره وبخاصة الأمير يشبك من مهدى الدوادار — من أكثر سلاطين الجراكسة اهتماماً بالسواحل والثغور وتحصينها للدفاع عنها .

والراجح عندنا أن كثيراً من هذه الوثائق قد فقدت ولم تصلنا ؛ ومهما يكن من أمر ، فقد ورد فى هذه الوثيقة ما نصه :

« ... وانه احتيج إلى بيع ذلك ليصرف ثمنه فى كلفة الغزاة والمجاهدين وفى مصرفه الشرعى » [2] بينما وصلتنا ثلاث وثائق تدور حول هذا الموضوع من عهد كل من السلاطين محمد بن قايتباى [3] وجانبلاط [4] والعادل طومان باى [5] ، وإن كان قد ورد فى الوثيقة الأخيرة منها نص عام غير صريح وهو : « ... وانه احتيج إلى بيع ذلك الآن على جهة بيت المال المعمور وصرف ثمنه فى مصارف بيت المال المعمور بالطريق الشرعى » .

أما من عهد الأشرف قانصوه الغورى ، فقد وصلتنا ثنتا عشرة وثيقة [6] ، وردت بها نصوص صريحة عن بيع أراض وعقارات من أملاك بيت المال المعمور

(١) وثيقة بيع رقم ٦٢١ ج أوقاف بتاريخ ١٩ ربيع آخر سنة ٨٦٧ هـ .
وثيقة بيع رقم ٦٢٢ ج أوقاف بتاريخ ٨ رجب سنة ٨٦٧ هـ .
وثيقة بيع رقم ١٣٦ محفظة ٢١ محكمة سطر ٥٣ – ٥٤ بتاريخ ١٨ شوال سنة ٨٦٧ هـ .
وثيقة بيع وقم ٤٤٣ ج أوقاف بتاريخ ١٠ صفر سنة ٨٧١ هـ .
وثيقة بيع رقم ١٥٦ محفظة ٢٤ محكمة سطر ٥٨ – ٥٩ بتاريخ ٢٥ صفر سنة ٨٧٢ هـ .

(٢) وثيقة بيع رقم ١٧٤ محفظة ٢٧ محكمة بتاريخ ٤ محرم سنة ٨٧٧ هـ

(٣) وثيقة بيع رقم ٤٤٦ ج بتاريخ ١٢ ربيع أول سنة ٩٠٢ هـ

(٤) وثيقة بيع رقم ٢٢٦ محفظة ٣٦ محكمة سطر ٥٣ بتاريخ ١٤ جماد آخر سنة ٩٠٥ هـ .

(٥) وثيقة بيع رقم ٢٣٠ محفظة ٣٦ محكمة سطر ٦٩ بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ٩٠٦ هـ

(٦) وثيقة بيع رقم ٤٤٠ ج أوقاف بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ٩٠٨ هـ .
وثيقة بيع رقم ١١٧ ج أوقاف بتاريخ ٢٦ جماد أول سنة ٩٠٩ هـ =

بسبب الحاجة والضرورة ، وليصرف الثمن فى كلفة الغزاة والمجاهدين ، والعساكر المتوجهين لحفظ ثغور الإسلام وسواحله وجهات المملكة الشريفة الإسلامية .

***

وبالرغم من المعاهدات التجارية بين بعض الدول الأوربية والمماليك ، والمصادرات والإجراءات الإنتقامية والتعسفية التى لاقاها التجار الأجانب أحياناً على يد السلاطين ، استمر عبث الفرنج الصليبيين والقراصنة الجنوية والروادسة(١) بالسواحل والثغور فى الشام ومصر وبخاصة فى مياه الإسكندرية(٢) ، وهى المدينة الصناعية الكبرى والوسيط التجارى النشط طوال العصور الوسطى ، والتى كانت ركائب التجار فى البر والبحر تهوى إليها ، وكان بها أكبر ديوان للجمارك مصر ، لتحصيل الحقوق والرسوم الجمركية على المتاجر الصادرة والواردة .

= وثيقة بيع رقم ١٧٦ ج أوقاف بتاريخ ٢٦ جماد أول سنة ٩٠٩ هـ

وثيقة بيع رقم ٢٥١ محفظة ٤٠ محكمة سطر ٧٣ — ٧٥ بتاريخ ١٧ شوال سنة ٩٠٩ هـ

وثيقة بيع رقم ٦٤٦ ج أوقاف بتاريخ ٢ جماد آخر سنة ٩١١ هـ .

وثيقة بيع رقم ٣٥٠ ج أوقاف بتاريخ ١٨ رجب سنة ٩١١ هـ .

وثيقة بيع رقم ٤٠٣ ج أوقاف بتاريخ ٩ شوال سنة ٩١٢ هـ

وثيقة بيع رقم ٣٩٠ ج أوقاف بتاريخ ٣٠ محرم سنة ٩١٧ هـ

وثيقة بيع رقم ٢٨٨ محفظة ٤٤ محكمة سطر ٤٩ — ٥٠ بتاريخ ١٨ شوال سنة ٩١٩ هـ .

وثيقة بيع رقم ٣٤٠ ج أوقاف بتاريخ ٦ صفر سنة ٩٢٠ هـ .

وثيقة بيع رقم ١٠٥ ج أوقاف بتاريخ ١٣ ربيع آخر سنة ٩٢٢ هـ .

وثيقة بيع رقم ٣٩٣ ج أوقاف بتاريخ ١٣ ربيع آخر سنة ٩٢٢ هـ

(١) كانت جزيرة رودس وكراً ارهابياً عنيداً وخبيثاً من أوكار القراصنة ، ومصدر أذية للمسلمين ، وازعاج دائم للدولة المملوكية ، للصفة الحربية الصليبية المتأصلة فى نفوس حكامها من سلالة فرسان القديس يوحنا ، وكان الروادسة يمارسون القرصنة ويشجعون عليها فى شرق البحر المتوسط ، ويهاجمون السفن التجارية وغيرها من السفن المحملة بالأخشاب والـ 'د المرسل من آل عثمان إلى مصر ، ويعتدون على الثغور الساحلية فى مصر والشام ، ولا يفترون عن الإغارة شتاء ولا صيفاً .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (نشر Popper) جـ ٧ ص ٦٥١ .

ابن إياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ١٢٨ ، ١٤٦ ، ٢٠١ ، درراج : نفس المرجع ص ٤٨ .

عبد العزيز الأهوانى : سفارة سياسية من غرناطة إلى القاهرة فى القرن التاسع الهجرى (٨٤٤هـ) (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مج ١٦ جـ ١ مايو ١٩٥٤) ص ٩٩ ، ١٢٠

Heyd : op. cit. II, pp. 537—539. Depping : op. cit. I, p. 270.

(٢) سالم : نفس المرجع ص ٣٩٦ — ٣٩٧

والحقيقة أن الصليبيين كانوا يحقدون على الدولة المملوكية فى مصر والشام ، وخاصة بعد سقوط عكا فى يد السلطان خليل بن قلاوون سنة ١٢٩١ م وطردهم منها (١) ، وبسبب سيطرة الدولة المملوكية على تجارة الشرق ، ولقوتها الحربية والسياسية ، وتزعمها للعالم الإسلامى .

ولذلك حرمت البابوية التعامل مع المسلمين وبخاصة دولة المماليك ، وصدرت الأوامر بعدم تصدير المواد الإستراتيجية والحربية إليها ، وبالذات الحديد والنحاس والخشب والقار والقطران والكبريت والرقيق الأبيض (المماليك) والخيول وغيرها مما يحتاجه الجيش والأسطول المملوكى ، فضلا عن المواد الغذائية مثل القمح والزيوت ؛ كل ذلك من أجل إضعافها مادياً ، ولتدميرها اقتصادياً ثم عسكرياً تمهيداً للإستيلاء عليها(٢) .

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط ، بل إن بعض الفرنج فى الإسكندرية ودمياط وغيرها من الثغور فى مصر والشام ، كانوا يتجسسون على الدولة المملوكية لحساب القوى الصليبية المعادية للمماليك ، وبخاصة جانوس دى لوزنيان ملك قبرص وغيره(٣) ، ويمدونهم بالمعلومات عن الموانى والتجارة فيها ، وأخبار السفن الإسلامية ، والتحصينات الحربية والقلاع التى فى الثغور(٤) .

ولقد كانت مدينة الإسكندرية بحكم موقعها على ساحل البحر المتوسط ، على صلة بأوربا ، وكثر بها الأجانب الوافدين للحج أو للتجارة ، ووجد بها قناصل لكثير من الدول التجارية ، ووكالات وفنادق وبخاصة بعد سقوط القسطنطينية فى أيدى العثمانيين .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٦٥ - ٧٦٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (ط. دار الكتب) جـ ٨ ص ٥ - ٨

(٢) سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٢٩٤ - ٢٩٦

Heyd : op. cit. II, pp. 24—26, 440., Kammerer : op. cit. I, p. 151.
Atiya : op. cit., pp. 34—35 ff., Depping : op. cit. II, p. 170.
Pernaud : Les villes marchandes, p. 30—31.

(٣) العسقلانى : أنباء الغمر بأبناء العمر (مخطوط) جـ ٢ ص ٤١٥ ، دراج : نفس المرجع ص ١١ - ١٢ ، ١٤٥

Atiya : op. cit., pp. 190—192, 196., Kammerer : op. cit. I, pp. 305—310.
Heyd : op. cit. II, p. 473.

(٤) دراج : نفس المرجع ص ٢٨ .

ومن المعروف أن أهم فترة فى ازدهار التجارة المملوكية هى تلك الفترة المحصورة بين سنة ١٤٥٣ م (سقوط القسطنطينية) و ١٤٩٨ م (ظهور البرتغال فى المياه الشرقية) ، وإلى أن حدث الإنهيار التجارى والإقتصادى فى السنوات الأولى من القرن ١٠ هـ / ١٦ م فى الدولة المملوكية فى مصر والشام والحجاز (١) .

ومهما يكن من أمر ، فقد حتمت الظروف — التى تلت سقوط القسطنطينية — على سلاطين المماليك الجراكسة اتخاذ احتياطات أمن كبيرة ومشددة فى بعض الأحيان ، ضد الأجانب الفرنج من التجار والحجاج على سواء ، وخاصة فى سواحل مصر والشام فى البحر المتوسط ، ودقق عمال وموظفو الديوان فى الموانى عند وصولهم أو خروجهم ؛ كما أولت الدولة المملوكية مدخل وسواحل البحر الأحمر عنايتها من أجل الحفاظ على سلامة البلاد وأمنها ومصالحها التجارية ، وقام سلاطين وأمراء المماليك فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى — من أجل حماية وتحصين الثغور — بانشاء الأسوار والقلاع والأبراج وشحنها بالرجال والسلاح لصد هجمات الفرنج وغارات القراصنة ، ولكى تستمر العمليات التجارية الواسعة بين الشرق والغرب ، بما فيه المصلحة الاقتصادية للدولة المملوكية (٢) .

***

فقد أنشأ الأشرف أبو النصر برسباى على ساحل البحر المتوسط فى مصر برجاً عند الطينة شرقى دمياط — فيما بينها وبين قطيا — وتم بناؤه فى ربيع الآخر سنة سنة ٨٢٨ هـ / فبراير ١٤٢٤ م ، باستخدام خرائب مدينة الفرما القديمة ، وزود بحامية صغيرة من الجنود والفرسان المماليك ، وشحن بالأسلحة ؛ كما ضرب جماعة من العرب خيامهم حول البرج للمساعدة عند الحاجة إذا ما طرق العدو هذه المنطقة ، أو أغار عليها القراصنة الفرنج ، فانتفع المسلمون به غاية النفع (٣) .

---

(١) Ziada : Foreign Relations of Egypt, pp. 218—221.
Piloti : L'Egypte au commencement du 15ème siècle, Ed. Dopp., p. 59ff.
Heyd : op. cit. II, pp. 440, 456, 459—460, Depping : op. cit. II, p. 170.
Pernaud : op. cit., pp. 61 —62 ff.

(٢) Depping : op. cit. II, p. 218 ff.

(٣) المقريزى : السلوك (خط) جـ ٤ قسم ٥ ورقة ٣٦٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (ط. Propper) جـ ٦ ص ٥٨٤

أما فى الشام فقد أنشأ ووقف السيفى جلبان [1] ملك الأمراء كافل المملكة الشريفة الإسلامية فى عهد السلطان أبو سعيد جقمق ، برجين أو قلعتين صغيرتين فى طرابلس وصيدا سنة ٨٤٥هـ [2] إذ جاء فى وثيقة الوقف فيما يخص برج طرابلس ما نصه :

« جميع ابنية البرج الذى انشاه مولانا ملك الامرا / الواقف المشار اليه اثابه الله تعالى ظاهر مدينة طرابلس [3] المحروسة براس المرج على ساحل البحر الملح بالقرب من مينا طرابلس وبرجى السيفى ايتمش / والسيفى طراباى [4] الذى كان

---

(١) هو السيفى جلبان المؤيدى نائب الشام ، وأصله من أتباع السلطان المؤيد شيخ المحمودى ، وكان أميراً ديناً خيراً ، مات سنة ٨٥٩ هـ وقد جاوز الثمانين من العمر.

ابن إياس : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ص ٢٤ ، السخاوى : الضوء اللامع ج ٣ ص٧٧–٧٨ رقم ٣٠٢ .

(٢) وثيقة وقف السيفى جلبان بتاريخ يوم الاثنين ٥ ربيع الأول سنة ٨٤٥ هـ والمحفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ونحن نحتفظ بنسخة منها مصورة على الميكروفيلم ، والوثيقة مكتوبة على عدد من الأوصال المخيطة من دروج الرق باطنا وظاهرا ، وأول الوثيقة مبتور ، إذا فقد منها عدة أوصال أو بعض أجزاء منها ، كما أن بها تآكل فى بعض الهوامش ، وتمزيق وثقوب فى أماكن مختلفة من بدنها .

(٣) أنظر بحثنا هذا اللوحة رقم ١٥

استولى الصليبيون على طرابلس فى سنة ٥٠٣ هـ ، وقام الجنوية بدور كبير فى تكوين إمارة صليبية بها ، وقد استردها السلطان خليل بن قلاوون فى ربيع الآخر سنة ٦٨٨ هـ .

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٤٤ ، تاريخ ابن الوردى ج ٢ ص ٢٣٤ ، المقريزى : السلوك ج ١ ص ٧٤٧ – ٧٤٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٢١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٤٢ – ١٤٣ Heyd : op. cit. I, p. 139.

وقد هاجم الفرنج القبارصة (بطرس لوزنيان) والروادسة ميناء طرابلس ، ونزلوا به حيث خربوا وقتلوا وسلبوا ثم رحلوا ، وكان ذلك فى يناير وسبتمبر ١٣٦٧ م .

سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٧٢ – ٧٧ ، العينى : عقد الجان (مخطوط) ج ٢٢ ص ١٥١ Hill : op. cit. II, p. 344—345.

وكان لميناء طرابلس أهمية تجارية كبرى كمنفذ لمدينة حلب وغيرها من مدن الشام ، وكان بها ديوان للجمارك ونائب للسلطان ، ومخازن وفنادق للتجار الفرنج تحت إشراف قناصلهم ؛ وقد زادت أهميتها بعد سقوط القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ م ، ونشطت بها الحركة التجارية مما عرضها لغارات القراصنة بين حين وآخر . Heyd : op. cit. II, p. 460, 496., Depping : op. cit. I, pp. 99, 101—103.

(٤) هذه إشارة تاريخية جديدة فى الوثيقة ، تؤكد لنا قيام كل من السيفى ايتمش والسيفى طراباى من أمراء المماليك ببناء برجين بثغر طرابلس ، قبل أن ينشأ السيفى جلبان البرج المذكور فى مكان برج الصالحى (؟) الذى دثر وخرب على حد قول الوثيقة .

ذلك برجاً لطيفاً يعرف ببرج الصالحي وزالت عينه واثره ودثر وخرب وانشا مولانا ملك الامرا المشار اليه / اعلاه مكانه البرج المذكور من ماله النامي المشتمل على باب خاص وسفل وعلو ومرامى (١) من الجهات الاربع ومنافع ومرافق وحده بكماله من / القبلة والشرق والشمال الطريق ومن الغرب البحر الملح ... فاما البرج المبدو / بذكره اعلاه الذى انشاه الواقف المشار اليه اثابه الله تعالى وقفه مسجداً لله تعالى وحصناً للمجاهدين فى سبيل الله تعالى والمرابطين (٢) وحبسه معبداً وحصناً تقام فيه الصلوات الخمس ويأوى فيه اهل الذكر والمجاهدين فى سبيل الله والمرابطين وتتلى فيه آيات القرآن / ويعلن فى اعاليه بالأذان ويسبح فيه بالعشى والابكار ويعبد فيه من لا تدركه الابصار واذن للمسلمين ان يقيموا الصلاة / ويصلون فيه الصلوات الخمس ومجاهدة الكفار والرباط فيه . . . واما الحصص الخمس . . . على مصالح البرج السعيد / المذكور اعلاه وما يحتاج اليه من عمارة وفرش وتنوير وسلاح وقسى وسيوف ونشاب (٣) وآلات حرب وجوامك (٤) لمن يذكر فيه وساير مصارفه / الشرعية الاتى تعيينها فيه . . . »

---

(١) هذه المرامى عبارة عن فتحات مستطيلة توجد عادة فى أعلى جدران البرج من أجل الرمى بالسهام والنشاب ، وهى المعروفة باسم منافذ السهام Arrow slits

(٢) هذه الفقرة من نص الوثيقة تؤكد لنا حقيقة هامة ، وهى أن هذه الأبراج كانت تخدم أغراضاً دينية وحربية فى آن واحد ، وهذه هى طبيعة العصر الوسيط ، وهو عصر دين وحرب سواء عند المسيحيين أو المسلمين . ولذلك كان المماليك يرون فى الحروب الصليبية مجاهدة فى سبيل الله ، ودفاعاً عن الدين ، إلى جانب المحافظة على مصالحهم الاقتصادية الممثلة فى التجارة بأرباحها الهائلة . وعن الرسول (ص) أنه قال « رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه » الشوكانى : نيل الأوطار جـ ٧ ص ٢٢٢

(٣) هذه إشارة إلى بعض أنواع الأسلحة التى كانت توجد فى الأبراج والقلاع فى ذلك العصر للدفاع عن الثغور والموانى ، ولعله كان من بين آلات الحرب كذلك المكاحل والمدافع ، أما النشاب فهى سهام خشبية صغيرة ذات نصول مثلثة الأركان . وعن النشاب والسهام والسيوف وغيرها من آلات الحرب انظر :

السيوطى : غرس الأنشاب فى الرمى بالنشاب (فيلم مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٠٥٦) .

السخاوى : كتاب القول التام فى الرمى بالسهام (مخطوط بدار الكتب رقم ٢ م فنون حربية) .

الطبرى (عبد الرحمن) : الرمى بالنشاب (مخطوط ضمن عدة رسائل بدار الكتب رقم ٤ م فنون حربية) .

طبيغا الأشرفى البكلمشى اليونانى : بغية المرام وغاية الغرام فى الرمى بالنشاب (مخطوط رقم ٩٣ فروسية بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية) .

عبد الرءوف عون : الفن الحربى ص ١٣٠ – ١٤٢ ، ١٤٨ – ١٥٤

عبد الرحمن زكى : السيوف وأجناسها (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مج ١٤ عدد ٢ ديسمبر ١٩٥٢) ص ١ – ٣٦ ، السيف فى العالم الإسلامى ص ٦٣ – ٦٦ ، ١٠٥ – ١٠٧

(٤) الجوامك أو الجامكيات جمع جامكية ، وهى كلمة فارسية دخيلة على العربية ، بمعنى الرواتب =

أما فيما يخص البرج الذى أنشأه السيفى جلبان فى صيدا ، فقد جاء عنه فى الوثيقة نفسها ما نصه : «. . . . جميع ابنية البرج الكاين / بثغر صيدا (١) المحروس على شاطى البحر الملح المشتمل على باب خاص وسفل وعلو ومرامى من الجهات الاربع ومنافع ومرافق حده من القبلة شاطى البحر / المذكور ومن الشرق الطريق ومن الشام شاطى البحر المذكور ومن الغرب البحر الملح . . . / وجعله مسجداً لله تعالى وحصناً للمجاهدين فى سبيل الله تعال والمرابطين وحبسه معبداً وحصناً تقام فيه الصلوات . . . وشرط ان يصرف من ريع الحصص الموقوفات باعاليه من الأماكن المحددة الموصوفة باعاليه ما شرط للبرج الموقوف باعاليه بمدينة طرابلس المحروسة على الوجه المشروح فى كتاب الوقف / المسطر باعاليه وما يحتاج اليه البرج الثانى بثغر صيدا من عمارة وتنوير(٢) وفرش وسلاح من قسى وسيوف ونشاب وآلات حرب وجوامك لمن يذكر فيه على الوجه / الذى شرح فى كتاب الوقف المسطر باعاليه . . . »

***

=عامة وكانت تصرف نقداً وعيناً لأرباب الوظائف من مدنيين وعسكريين. ادى شير : الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٥ ، المقريزى : السلوك ح ١ ص ٥٢ حاشية ٢ ، Dozy : Supp. aux dict. Ar.

عبد اللطيف إبراهيم : التوثيقات الشرعية ص٣٦٦ تحقيق رقم ٨ .

(١) أسهمت جمهورية البندقية فى ضم مدينة صيدا إلى مملكة بيت المقدس الصليبية ، وذلك من أجل مصالحها التجارية والسيطرة على هذا الثغر التجارى الهام . Heyd : op. cit. I, pp. 142—144.

وقد سلمت صيدا – مثل غيرها من المدن الساحلية – المماليك بعد سقوط عكا فى يد السلطان خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م . بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة (مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة) ح ٩ ص ٢٨٩ ، ابن مغلطاى : تاريخ سلاطين المماليك (نشر Zetterstéen) ص ٢٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ح ٤ ص ١١١ . وكان ثغر صيدا من أهم الموانى المملوكية على ساحل الشام ، وكانت به فنادق ومخازن ووكالات تجارية ، وقد تعرض لهجوم الصليبيين وغارات القراصنة فى سنوات متعددة منها سنة ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ م .

سعيد عاشور : قبرس والحروب الصليبية ص ٧٨ ، ٨١

Heyd : op. cit. II, p. 466. Depping : op. cit. I, p. 96.

(٢) هذه إشارة إلى احتمال استخدام هذا البرج ، وكذلك البرج فى طرابلس ، كنارة لإرشاد السفن التجارية ليلا ، كما كان الحال فى برج الأمير يشبك من مهدى الدوادار وقلعة السلطان قايتباى بالإسكندرية .

ومهما يكن من أمر ، فقد شرط الواقف السيفي جلبان فى هذه الوثيقة التاريخية القيمة شروطاً مختلفة ، من بينها تعيين عدد من أرباب الوظائف فى كل من البرجين بطرابلس وصيدا وهم :

١ — إمام مؤذن [١] .

٢ — عدد من الرجال المسلمين المجاهدين[٢] أقجنه* (؟) يحسنون الرمى بالنشاب والنبل والجامح** (؟) والمكحلة وسائر أنواع الحروب ، وعليهم ملازمة البرج ، والجهاد فى سبيل الله تعالى ليلا ونهارا .

٣ — رجل مسلم مقدم على المجاهدين بالبرج لعمل مصالحه واصلاح ما به من آلات الحرب[٣] .

٤ — رجل مسلم يكون باروديا بالبرج يصنع ما يحتاج إليه من البارود[٤] .

---

(١) جاء فى الوثيقة كذلك أن الواقف السيفى جلبان وقف مصحفاً شريفاً بالبرج الذى أنشأه فى طرابلس .

(٢) نصت الوثيقة على أن يكون عدد المجاهدين بالبرج فى طرابلس خمسةأنفار ، وفى صيدا سبعة . ويشترط فى المجاهد أو المقاتل أن يكون مسلماً بالغاً عاقلا حراً سليماً من الأمراض ، مقداماً غير هياب . الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٩٣ ، ابن همام : شرح فتح القدير حـ ٤ ص ٢٧٣ ، ابن قدامه : المغنى حـ ٨ ص ٣٤٧ — ٣٤٨ ، ويقول الله فى كتابه العزيز « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً » سورة النساء الآية ٩٥ . ويجمع فقهاء المسلمين على أن الجهاد من فروض الكفاية إلا أن يدخل العدو بلاد المسلمين غازياً فاتحاً فيكون فرض عين . ابن همام : نفس المصدر السابق والجزء ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، الشوكانى : نيل الأوطار حـ ٧ ص ٢٢٤ إلا أنه إذا قام به من يكفى سقط عن باقى المسلمين . ابن رشد : بداية المجتهد حـ ١ ص ٣٨٠ — ٣٨١ ، قدامة : نفس المصدر السابق والجز ص ٣٤٦ .

* كذا فى الأصل (؟) أنظر اللوحة رقم ١٦ .

** كذا فى الأصل — أنظر اللوحة رقم ١٧

والصحيح الجرخ وجمعها جروخ ، والجرخ آلة حربية لرمى السهام والحجارة والنفط ، ويقال لمستخدمها جرخى .

عبد الرحمن زكى : الجيش المصرى فى العصر الإسلامى حـ ٢ ص ٣٦

(٣) المقدم على المجاهدين فى البرج هو الزردكاش كذلك — أنظر اللوحة رقم ١٦ ، ١٧

(٤) هذه إشارة تاريخية هامة ، تثبت قيام المسلمين أنفسهم بصناعة البارود فى القلاع والأبراج ، التى كانوا يحاربون منها دفاعاً عن الموانى والمدن الساحلية ، التى تعرضت فى كثير من الأحيان لهجوم الفرنج الصليبيين وغارات القراصنة من البحر ، ويلاحظ أن البارودى فى البرج بصيدا كان يقوم بعمل الزردكاش كذلك ، أنظر اللوحة رقم ١٦ ، ١٧

٥ — رجل مسلم يكون رئيساً على المجاهدين [١] بالبرج ، وعليه القيام بمصالحهم ومساعدتهم فيما هم فيه .

٦ — بواب فراش بالبرج لكنسه وفرشه بالحصر والبسط ، وتنوير وتنظيف وإيقاد مصابيحه ، وحفظ آلات الحرب به .

٧ — الناظر ونائب الناظر لمباشرة الوقف وعمل مصالحه ، ومصالح البرجين فى طرابلس وصيدا .

٨ — كاتب حاسب يكون عاملا على الوقف لضبط مال الوقف وعمل حسابه .

وكذلك شرط الواقف السيفى جلبان ما يلى :

أ — كلما نقص عدد الجماعة المعينين فى البرجين المذكورين فى طرابلس وصيدا ، أقام الناظر فى ذلك من يكملهم [٢] .

ب — يكون النظر والولاية على الوقف للواقف نفسه السيفى جلبان أيام حياته ، ثم للأرشد من أولاده ، ثم لكافل المملكة الطرابلسية ، ثم لحاكم المسلمين الشافعى .

***

أما ثغر بيروت ، فقد وقف الشرفى موسى بن عيسى بن الشهابى أحمد بن أمير الغرب البيروتى (التنوخى) فى سنة ٨٧١ هـ — زمن السلطان خشقدم الرومى — جزءاً من حصتين شائعتين من قريتى عين كسور وطردلا من عمل مدينة بيروت [٣]

---

(١) هذه الوظيفة ورد ذكرها بين الوظائف الخاصة بالبرج فى طرابلس فقط — أنظر اللوحة رقم ١٦ ، ومن المعروف أن أفضل الرؤساء فى الحرب أكملهم عقلا وأطولهم تجربة ، وأبصرهم بتدبير الحرب ومواضعها ، وأحسنهم تعبئة لأصحابه فى أحوال التعبئة ، وإدخال الأمن عليهم والخوف على عدوهم ، وأن يكون حسن السيرة ، عفيفاً صارماً ، حذراً متيقظاً ، شجاعاً سخياً. عون الفن الحربى ص ٧٩ عن الهرثمى : مختصر فى سياسة الحروب ورقة ٦ ، ٧ (فيلم مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٨٤٤) .

(٢) هذا الشرط ورد فى النص الخاص بالبرج فى ميناء صيدا .

(٣) تعتبر بيروت المنفذ الساحلى لمدينة دمشق ، وقد سلمت للسلطان خليل بن قلاوون بعد سقوط عكا ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ص ٢٨٩ ، خليل الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ٤٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ﺣ ٤ ص ١١٠ . وكان فى ثغر بيروت حركة تجارية نشطة للغاية ، وكان بها ديواناً للجمارك لتحصيل الرسوم والحقوق ، ومخازن وفنادق لكثير من الدول الأجنبية يشرف عليها قناصل . محمد كرد على : خطط الشام ﺣ ٤ ص ٢٦٨

Heyd : op. cit. II, p. 496, Depping : op. cit. I, pp. 97—99, Ziada : op. cit., p. 220.

من الأعمال الشامية المحروسة ، فى ثمن شراء أسلحة للحرب ، توضع بمكان حصين بمدينة بيروت للدفاع عن هذا الثغر التجارى الهام ، وكذلك فى أجرة رجل مسلم متيقظ للحراسة بحصن الميناء المذكور ، وعلى حد ما جاء فى وثيقة الوقف[1] :

« ...... النصف من هذا الثمن على رجل مسلم موصوف بصفات معينة فى كتاب الوقف يبيت ثلاثة ليال من كل شهر هلالى بحصن مينا بيروت مستيقظاً للحرس ...... والنصف الاخر من الثمن المذكور يكون مصروفاً فى ثمن اسلحة للحرب توضع بمكان حصين بمدينة بيروت المذكورة مدخرة لقتال العدو المحاربين من البحر الملح ...... »

***

من المعروف أن المماليك وقد رأوا أنه من الأفضل لهم تسليم مراقبة السواحل والطرقات ، وحراسة شواطئ الشام ، وصد الهجمات الصليبية التى قد توجه للثغور ؛ إلى إمراء البلاد أنفسهم ، وعشائر العربان وفرسانهم — ومن يساعدهم من التركمان والاكراد — الذين التزموا بالخدمة الحربية ، واشتركوا فى بعض الحروب ضد أعداء الدولة المملوكية من المغول والصليبيين .

ولذلك كان الأمراء العرب من بنى تنوخ ، المقيمين فى جبل وساحل لبنان ، ولهم جنودهم وامتيازتهم الإقطاعية — فهم أمراء صغار — يتولون أعمال الدرك والحراسة ، والمثاغرة فى بيروت ضد الصليبيين وغيرهم من الغزاة القراصنة ، فى دوريات منظمة كل شهر[2] .

***

(١) وثيقة وقف رقم ١٥١ محفظة ٢٣ محكمة بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ٨٧١ هـ .

(٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ١٠–١٤ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٧٩–٨٠ ، ٩٠ ، ٩٢ – ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٨١

طنوس الشدياق : أخبار الأعيان فى جبل لبنان ص ٢٢٣–٢٣٨ ، ٢٤٣–٢٤٦ وما بعدها

عيسى اسكندر المعلوف : دوانى القطوف ص ٢٤٨ Poliak : op. cit., p. 9, 13.

ومهما يكون من أمر ، فان عهد السلطان خشقدم الرومى يعتبر بداية للصراع الطويل مع العثمانيين ، بالرغم من أن الحرب بينهم لم تنشب على عهده[1] ، بل فى عهد الأشرف قايتباى ، الذى قام — هو وأمراء عصره وخاصة الأمير يشبك من مهدى — بتحصين بعض الثغور الساحلية فى مصر مثـل الإسكندرية ورشيد ودمياط ، بسبب اضطراب العلاقات بين المماليك والعثمانيين ، الذين ظهرت قوتهم الحربية تماماً بعد استيلائهم على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م فى عهد السلطان المملوكى اينال ؛ ومن ثم بدأوا يتجهون نحو الشرق كمنافس خطير ليس فقط للدولة الصفوية الشيعية ، بل للدولة المملوكية السنية كذلك ، كما دلت على ذلك الحوادث التاريخية السياسية والحربية .

ولم تلبث العلاقات المملوكية العثمانية أن تدهورت فى أوائل عهد قايتباى بسبب أمارتى ذلغادر وقرمان [وحوادث الحدود الشمالية ، ولترحيب قايتباى بالأمير جم (الجمجمة) عند وصوله إلى القاهرة سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨٢ م ، فاراً من أخيه السلطان بايزيد الثانى العثمانى ؛ ودارت الحرب بين العثمانيين والمماليك فيما بين عامى ١٤٨٣ ، ١٤٩١ م ، ومن أشهرها المعارك التى وقعت فى سنة ١٤٨٦ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ م[2] .

ولهذه الأسباب وغيرها اجتهد السلطان قايتباى فى تحصين سواحل المملكة الشريفة الإسلامية فى كل من مصر الشام ، ضد القوى المعادية للدولة المملوكية ؛ الإسلامية وغير الإسلامية والممثلة فى العثمانيين والصليبيين ؛ فقد قام ببناء برج رأس النهر بطرابلس فى سنة ٨٨٢ هـ[3] ، وكذلك أنشأ فى مصر قلعة جنوب

---

(١) Ziada : op. cit., p. 30.

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور (ط. بولاق) حـ ٢ ص ٢٠٦ ، ٢٢٦–٢٢٧ ، ٢٦٤
زيادة : نهاية السلاطين المماليك فى مصر (المجلة التاريخية المصرية مج ٤ عدد ١ سنة ١٩٥١) ص ١٩٩ ، دراج : جم سلطان والدبلوماسية الدولية (المجلة التاريخية المصرية مج ٨ سنة ١٩٥٩) ص ٢٠٣ ، ٢١٥ وما بعدها ، المماليك والفرنج ص ١١١ ، ١١٤–١١٥
Ziada : op. cit., p. 204.
Hammer : op. cit. III, pp. 353—354.

(٣) سالم : طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ص ٤٤٩

غرب ثغر رشد فى سنة ٨٧٦ هـ[١] ، بينما تم العمل فى قلعته الشهيرة بالإسكندرية فى سنة ٨٨٤ هـ مكان المنار البطلمى القديم ، وقد جعل بها مقعداً ينظر منه إلى مراكب الفرنج — التجارية والحربية — وشحن حواصلها بالأسلحة حتى لا يطرق الثغر على حين غفلة[٢] من المعتدين الصليبيين ، لأن جل الفرنج — رغم المعاهدات التى كانوا يعقدونها مع المسلمين وسلطنة المماليك بالذات — كانوا لا يرعون حرمة لعهودهم واتفاقاتهم ، ولأن القراصنة بايعاز من بعض الحكومات الصليبية ظلوا يهددون سواحل مصر والشام ، وينهبون السفن التجارية ويأسرون التجار ويثيرون الذعر والخوف فى الموانى والثغور المملوكية فى شرق البحر المتوسط — وكذلك فعل البرتغاليون فى مدخل البحر الأحمر ، بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح — وقد أدى هذا إلى مواقف صارمة معروفة من السلطات المملوكية ، تجاه التجار الأوربيين والجاليات الأجنبية ، والقناصل فى المدن والموانى المملوكية طوال العصرين البحرى والجركسى[٣] .

وقد دفعت هذه الظروف وغيرها سلاطين وأمراء المماليك إلى بناء الأبراج والقلاع الحربية ، فى عدد من المدن الساحلية وخاصة بالإسكندرية ، وتجهيز المجاهدين فيها بالأسلحة للدفاع عن تلك الثغور ، ورد أذى المعتدين الصليبيين الذين كانوا يهدفون دائماً إلى هدم الدولة المملوكية بكافة الطرق الإقتصادية والحربية

***

(١) ابن أياس : بدائع الزهور حـ ٣ ص ٦٨ ، ١٥١–١٥٢ ، سالم : تاريخ الإسكندرية ص ٤٦٦

Combe : Le fort Qayt-Bay à Rosette (B.S.R.A.A., No. 33), p. 320.

ومن المعروف أن مدينة رشيد كانت لها صفتها الحربية منذ عهد الأيوبيين ، وكان محرماً على الأجانب دخولهـا .

Heyd : op. cit. II, p. 428.

عبد الرحمن زكى : قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ص ١٦٠ — ١٦١

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور حـ ٣ ص ١٢٨ ، ١٥١ ، ٣٢١ ، حـ ٤ ص ٤٢٧ ، سالم : نفس المرجع ص ٤٥٨ ، الشيال : الإسكندرية — طبوغرافية المدينة وتطورها ص ٢٤٠

هرتس : طابية قايتباى (مقال فى محاضر لجنة حفظ الآثار عدد ٢٥ سنة ١٩٠٨) ص ١٠٨

Van Berchem : C.I.A. Egypte, pp. 473—492.

Lepère, Gratien : Memoire sur la ville d'Alexandrie (Description de l'Egypte vol. XVIII, T. I.), pp. 391, 398.

(٣) Heyd : op. cit. II, p. 455.

ويظهر أن منطقة السلسلة بالإسكندرية كان بها عدد كبير من الآثار الإسلامية، التى ضاع الجزء الأعظم منها بسبب هبوط الأرض ، وارتفاع منسوب مياه البحر، وتطور العمران فى هذه المنطقة وتجدد معالمها ؛ وعلى سبيل المثال فقد عمر الأمير قجماس الاسحاقى نائب السلطنة الشريفة بثغر الإسكندرية — زمن الأشرف قايتباى — على شاطىء بحر السلسلة رباطاً ، كما أودع فيه الأسلحة والأقوات ، وما يلزم المرابطين فيه على حد قول السخاوى[1]، كما وقف مسجداً وزاوية ومطبخاً وسقاية وبستاناً وأراض زراعية — كان قد اشتراها من أملاك بيت المال المعمور زمن السلطان قايتباى — بظاهر الثغر السكندرى من شرقه بالقرب من باب رشيد .

وفى عهد السلطان قايتباى كذلك ، بنى الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير فى طرف منطقة السلسلة بالإسكندرية ، برجاً أو قلعة صغيرة لكى تسهم — مع قلعة قايتباى أو البرج الكبير الأشرفى — فى رد الأعداء الصليبيين وغيرهم عن المدينة وحمايتها ؛ وهى تلك القلعة التى ورد ذكرها فى الوثيقة المملوكية موضوع هذه الدراسة .

***

ويظهر أن السلطان محمد بن قلاوون كان قد شرع فى بناء برج فى هذه المنطقة (السلسلة) ولكن الموت عاقه عن إتمامه ؛ وفى زمن الأشرف شعبان بن حسين قام ببنائه الأمير صلاح الدين خليل بن عرام من عدة طوابق — قبل وقعة القبارصة المشهورة سنة ٧٦٧ هـ ، على الأساس الذى كان قد أسسه الناصر محمد — وأقام له باباً وشرفات بأعلى جدرانه ؛ وقد نهب القبارصة هذا البرج ضمن ما نهبوه من فنادق ومخازن وقصور ومساجد ومدارس فى غزوتهم للإسكندرية ؛ وكان

(١) السخاوى : الضوء اللامع حـ٦ ص ٢١٣ رقم ٧٠٦ ، وثيقة وقف قجماس الإسحاقى رقم ٦٨٣ ج أوقاف بتاريخ ١٩ شعبان سنة ٨٧٩ هـ .

أنظر كذلك وثيقتى الأمير قجماس الإسحاقى :

أ — وثيقة استبدال عقار بظاهر باب رشيد بثغر الإسكندرية رقم ٦٧٣ ج أوقاف بتاريخ ٢٦ ربيع أول سنة ٨٧٩ هـ .

ب — وثيقة بيع رقم ٦٧٦ ج أوقاف بتاريخ ٢٠ ربيع آخر سنة ٨٧٩ هـ .

هذا البرج يقوم فى طرف خط الصخور التى تحدد نهاية الميناء الشرقى من جهة الشرق ، وكان يرى من بعيد وكأنه مسجد له مئذنة[1] .

ولا شك فى أن الأمير يشبك من مهدى الدوادار قد قام ببناء البرج المنسوب إليه — والذى كشفت عنه هذه الوثيقة المملوكية النادرة — فى نفس المكان الذى كان السلطان محمد بن قلاوون قد شرع فيه ببناء البرج السابق الإشارة إليه — أعنى فى المنطقة الصخرية فى نهاية طرف لسان السلسلة[2] ، من أجل تحصين فم ميناء الإسكندرية تماماً ضد سفن الفرنج الصليبيين وغيرهم من القراصنة .

ومما لا شك فيه كذلك أن تسمية هذا البرج اليشبكى على كثير من الخرائط ببرج السلسلة ، إنما هى تسمية قديمة نسبة إلى السلسلة أو السلاسل الضخمة التى كانت تقفل الميناء[3] ، وتمتد بينه وبين قلعة السلطان قايتباى .

وقد تعرض برج الأمير يشبك لأضرار جسيمة ، وطرأت عليه تغييرات كثيرة فى العصر العثمانى وعصر أسرة محمد على ، وربما تهدم معظمه فى أوائل القرن الحالى .

وتمدنا وثيقة وقف الأمير يشبك — موضوع الدراسة — بمعلومات جديدة وقيمة للغاية عن الحياة فى تلك القلعة (البرج) ، بالرغم من أنها لم تذكر لنا الأوصاف المعمارية لها ، ولكنها فيما نعتقد لا تختلف كثيراً عن القلاع والأبراج التى بناها الأشرف قايتباى بالإسكندرية ورشيد بمصر ، وبرج رأس النهر بطرابلس الشام من حيث التخطيط المعمارى بوجه عام[4] .

***

(١) سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها ص ٤٥٥-٤٥٦ ، الشيال : الإسكندرية — طبوغرافية المدينة وتطورها ص ٢٣٣ ، تاريخ مدينة الإسكندرية ص ١٣٢ ، عبد الرحمن زكى : قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ص ١٤٧

Combe : Les Levés de gravier d'ortières, p. 61—63.

(٢) أنظر اللوحة رقم ١

(٣) كان يطلق على البرج بثغر دمياط كذلك «برج السلسلة» لهذا السبب نفسه .

ميخائيل عواد : المآصر فى بلاد الروم والإسلام ص ٤١ — ٤٣ .

(٤) سالم : نفس المرجع السابق ص ٤٦٦ ، ٤٦٩ وما بها من مراجع .

والحقيقة أن برج الأمير يشبك من مهدى لم يندثر تماماً ، فقد كانت هناك أجزاء قليلة باقية منه عندما قمت بتصويرها فى سنة ١٩٥٨[١]

وتقع قلعة الأمير يشبك — التى مر على إنشائها أكثر من خمسة قرون — فى نهاية المنطقة الصخرية فى طرف لسان السلسلة ، وهى تقابل قلعة السلطان قايتباى على مدخل الميناء الشرقى للإسكندرية[٢] ؛ ومن المؤكد أن المنطقة المحصورة بينهما (فم الميناء) كانت تقفل بسلسلة ثقيلة الوزن من الحديد[٣] .

ولا نجد من قلعة أوبرج الأمير يشبك الآن سوى بقايا قليلة ، لأن أغلب مبانيها قد تفكك وانهار وغاص تحت مياه البحر ، والجزء المتبقى منها عبارة عن برج صغير مربع[٤] ، بنيت جدرانه الخارجية بأحجار كبيرة الحجم[٥] ، وتبلغ أبعاد بعضها ١١٢ × ٧٢ × ٤٠ سم أو ١٠٨ × ٦٠ × ٥٠ سم أو ٩٨ × ٥٠ × ٤٥ سم ؛ ونجـد بين مداميك أحجار هذه الجدران — أحياناً — أعمدة رابطة columns used as bonds كما هو الحـال فى قلعة قايتبـاى ، وبقـايا حرمدانات corbels ، ربما كانت تحمل خرجات حجـرية بارزة أو مزاغل لإلقـاء المقذوفات على العدو Machicolus ؛ كما توجد عدة منافذ — مسدودة الآن — وأغلب الظن أنها كانت تستخدم للإضاءة ليلا أو للرمى بالسهام وغيرها Arrow slits فى الناحية الشمالية الشرقية من البرج والمطلة على البحر ؛ وقد لاحظت كذلك وجود بقـايا من حواصل علوية مقبية Vaulted ، مبنية بمداميك من الطوب

(١) أنظر اللوحات رقم ٢ — ٦ ، وهى تنشر اليوم لأول مرة .

(٢) أنظر اللوحة رقم ١

(٣) من أجل حماية الموانى والثغور كان يشيد برجان — غالباً — على مدخل الميناء ، تشد بينهما سلاسل ثقيلة الوزن من الحديد — خوفاً من هجوم سفن الأعداء — وهذه السلاسل يطلق عليها لفظ « مآصر » . ويظهر أن ذلك كان أمراً شائعاً فى كثير من الموانى الإسلامية طوال العصور الوسطى .

ميخائيل عواد : المآصر فى بلاد الروم والإسلام ص ٥ — ٦ ، ٣٨ ، خليل الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ٣٥ ، ابن إياس : بدائع الزهور ح ٣ ص ١٤٦

(٤) أنظر اللوحة رقم ٤ — ولعل هذا البرج هو أحد الأبراج الركنية التى بقيت من قلعة الأمير يشبك التى اندثر معظمها .

(٥) أنظر اللوحة رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦

الأحمر[1] ، المرتكز على حوائط أو جدر داخلية من الدبش والدقشوم[2] ، ولا شك أنها حديثة البناء نسبياً ، وربما ترجع إلى عصر محمد على أو الخديوى إسماعيل .

كما يمكن القول بأن قلعة الأمير يشبك كانت تشبه قلعة السلطان قايتباى ، من حيث التفاصيل المعمارية ومواد البناء — بالرغم من أنها كانت أصغر حجماً — وهذا يجعلنا نعتقد أن المهندس الذى قام بالتصميم والتخطيط والإشراف على تنفيذ عمارة القلعتين كان شخصاً واحداً .

***

وبعد — فقد وقف الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير على هذه القلعة أو البرج بظاهر ثغر الاسكندرية ، وعلى الفقراء والمجاورين بالجامع الأزهر ، أراض بالوجه البحرى بناحية صندلا بالغربية ومنية حلفا بالمنوفية [3] ، وهى المعروفة ببلاد المال لأن المتحصل من خراجها نقد : ذهب وفضة[4]، وكذلك وقف أراض بالوجه القبلى بناحية ماكوسة الغربية والشرقية ، ومنية بنى خصيب بالأشمونين [5] ، وهى المعروفة ببلاد الغلال لأن خراجها غلال قمح وغيره من الحبوب ، ما عدا البستان بناحية ماكوسة من عمل الطحاوية المعروف بغيط النصارى فان خراجه نقد [6] .

وقد شرط الواقف الأمير يشبك ما يلى :

أولا : أن يصرف النصف من جميع ما يتحصل من خراج الوقف بأراضى ناحيتى صندلا بالغربية ومنية حلفا بالمنوفية ، والربع من جميع ما يتحصل من خراج

---

(١) أنظر اللوحة رقم ٥

(٢) أنظر اللوحة رقم ٦

(٣) الوثيقة سطر ٩ — ١٣ ، اللوحة رقم ٧

(٤) الوثيقة سطر ٨٧ — ٨٨

(٥) الوثيقة سطر ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٥٩ ، ٦١ — ٦٥ ، اللوحة رقم ٧

(٦) الوثيقة سطر ٩١ — وعن المتحصل من الخراج نقداً أو غلالا ، أنظر : المقريزى : الخطط (ط. النيل) جـ ١ ص ١٦٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٥٢ — ٤٥٥

الأوقاف السابقة على تاريخه وهى التى بالوجه القبلى بأراضى ماكوسة فى مصالح البرج السعيد المبارك اللطيف الكائن بظاهر ثغر الاسكندرية[١] ، ولأرباب الوظائف المختلفة والمقاتلة وأجناد العدة ، وفى عمارة البرج ومرمته[٢] .

أما مرتبات أرباب الوظائف والمقاتلة أجناد العدة وغيرهم ، ومصارف وقف البرج فى كل شهر هلالى بالدراهم الفضة المستعملة آنذاك فهى كما يلى :

١ — ٢٠ نفر من أجناد العدة صالحين للقتال[٣] — أحدهم زردكاش[٤] ٢٠,٠٠٠ لكل ١٠٠٠ درهم

٢ — ٤ رجال نفطية بارودية عارفين برمى المدافع والمناجنيق[٥] ٢,٠٠٠ لكل ٥٠٠ درهم

(١) الوثيقة سطر ٩٩ — ١٠٣ ، اللوحة رقم ٨

(٢) الوثيقة سطر ١٠٥ — ١٠٦ ، اللوحة رقم ٨

(٣) الوثيقة سطر ١٠٧ — ١١٠ ، اللوحة رقم ٩

ومن الراجح أن أجناد العدة كانوا من الجنود النظاميين من المماليك الجراكسة ، ومن المحتمل كذلك أن بعضهم كانوا من مماليك الأمير يشبك ، الذين بلغ عددهم ٤٠٠ مملوك .

(٤) الزردكاش — لفظ أعجمى — معناه صانع الزرد ، الذى يقوم بإصلاح العدد والأسلحة . أنظر حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية حـ ٢ ص ٥٦٤—٥٦٥ وما بها من مراجع . وعن الزردخاناه أنظر القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١١ — ١٢

(٥) الوثيقة سطر ١١٢—١١٣ ، اللوحة رقم ٩ ، والغالب أن النفطية والبارودية كانوا من العبيد السود أو من رجال الطبقة الخامسة ، والدليل على ذلك أن مرتباتهم كانت أقل من مرتبات المماليك أجناد العدة . وعن المدافع فى العصر المملوكى من حيث وزن المدفع وحجمه وعياره ومداه وأسماء صناع المدافع وغير ذلك أنظر :

القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٢ ص ١٣٧ ، المقريزى : السلوك (خط) حـ ٤ قسم ٦ ورقة ٤١٦ — ٤١٧ ، ابن تغرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ٤٧٤—٤٧٦ ، ابن إياس : بدائع الزهور حـ ٤ ص ٢٦١

Ayalon : op. cit., pp. 2—6, 9, 17—19, 21—22, 24, 29—30, 36—37, 40—42, 46, 49—51, 135—138.

والحقيقة أنه كان لابد من تزويد هذه الأبراج أو القلاع الحربية — فى أواخر عصر المماليك الجراكسة — بالمدافع ، وإلا أصبحت قليلة الفائدة أمام عدو صليبى عنيد ، مسلح تسليحاً جيداً بالبنادق والمدافع وغيرها من الأسلحة ، ولأن ترك هذه القلاع الساحلية بدون مدفعية ، كان معناه تركها تحت رحمة العدو بدون دفاع أو مقاومة .

أما استعمال المناجنيق فى تلك الفترة ، فإنه كان غير ذى موضوع باعتباره آلة حربية قديمة ، ولكن =

٣ — باش أجناد العدة حوالى ٥٤,٠٠٠[1] درهم تقريبا فى السنة أى ٤,٥٠٠ درهم شهريا :

= يظهر أن الحاجة الماسة إلى السلاح وآلات الحرب من أى نوع كان ، قد دفع المماليك الجراكسة إلى استخدامه فى أواخر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

ومهما يكن من أمر ، فربما استخدم المنجنيق فى رمى الحجارة وقدور النفط والأخشاب المشتعلة على السفن الحربية للصليبيين ، إذا ما هاجمت الثغر السكندرى .

وعن المناجنيق — وغيره من آلات الحرب — أنظر :

Ayalon : op. cit., p. 2, 27—30, 33, 44, 50.

أرنبغا الزردكاش : الأنيق فى المجانيق (فيلم مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٩٧٠) ، ٧٥ فنون حربية بدار الكتب المصرية ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٣٦—١٣٧

عون : الفن الحربى ص ١٥٦—١٦٧ وما بها من مراجع :

Oman : A history of the art of war, London, 1937.

Carman : A history of firearms from earlist times to 1914, London 1955.

Lot : L'art militaire et les armées au moyen age en Europe et dans le proche orient, 2 vols., Paris 1946.

Enc. Britannica, Art : Gunpowder, Artillery.

أما عن النفطية البارودية فهم العبيد من الرقيق الأسود الخصيان ، وكان يقال لهم عبيد الخدمة لأنهم كانوا يستخدمون فى رمى النفوط والبارود ، وكانوا يسمون عبيد رماة أو عبيد بارودية أو عبيد نفطية .

Dozy : Supp. dict. Ar.

Ayalon : op. cit., pp. 9—11, 16, 19, 21—26, 36, 39, 41, 67, 70—71, 79.

Atiya : op. cit., pp. 366—367.

Runciman : A history of the crusades, vol. I, p. 285, vol. III, pp. 27—28, 286.

وكان العبيد النفطية البارودية من الطبقة الخامسة ، وقد سمت هذه الطبقة كذلك لأن رجالها كانوا يأخذون الجامكية فى اليوم الخامس من النفقة على العسكر ؛ ومن ثم فهم فى الحقيقة أقل مرتبة — من وجهة النظر الاجتماعية والحربية — من المماليك الجلبان أو الأجلاب فى كثير من النواحى ، ولأنهم لا يعرفون شيئاً عن الفروسية قوام الحياة الحربية عند المماليك ؛ ولذلك كان هناك نزاع وخلاف مستمر بين الطبقة الخامسة وبقية طباق المماليك ، حتى قرر السلطان الغورى حل الطبقة الخامسة فى محرم سنة ٩٢٠هـ .

ابن إياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣٣٥ ، جـ ٤ ص ٢٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣٦٠ ، جـ ٥ ص ٥٥.

Ayalon : op. cit., pp. 61—67, 71, 76—78, 80, 89.

Mostafa : Beitrage zur geschichte Aygptens (Z.D.M.G. 1935), pp. 218—219.

Poliak : op. cit., p. 14.

(١) كان باش أجناد العدة فى البرج اليشبكى يتقاضى هذا المبلغ ، وهو ما يتحصل من خراج الحصة التى مبلغها الخمس من أراضى كنيسة الغيط بالبحيرة . الوثيقة سطر ١١٥ — ١١٧ ، اللوحة رقم ١٠. وباش أجناد العدة هنا يقابل باش العسكر فى قلعة قايتباى بالاسكندرية ، ومقدم المجاهدين فى برجى طرابلس وصيدا ، أو رئيس المجاهدين فى قلعة طرابلس . وثيقة وقف جلبان بالمكتبة الظاهرية بدمشق .

٤ — ٤ رجال لإرهاب العدو وإعلام الناس والمقاتلة عند وروده[1] ٢٠٠٠ لكل ٥٠٠

٥ — رجلان لحراسة البرج وما به ومن به ولمراقبة العدو [2]١٠٠٠ لكل ٥٠٠

٦ — إمام [3] . ٥٠٠ درهم .

٧ — مؤذن [4] . ٥٠٠ درهم .

٨ — فراشان لتنظيف البرج وفرشه ووقود المصابيح به [5] ٥٠٠ درهم .

٩ — بواب [6] . ٥٠٠ درهم .

١٠ — سقا [7] . ٥٠٠ درهم .

١١ — ثمن زيت طيب لوقود مصابيح البرج ظاهراً وباطناً [8] ٥٠٠ درهم .

١٢ — ثمن خبز بر طيب للمقيمين بالبرج من المقاتلة وأرباب الوظائف[9] بالغاً ما بلغ

---

١ — الوثيقة سطر ١١٨ — ١٢٠ ، اللوحة رقم ١٠

وكانت مهمة هؤلاء الرجال التكبير والتهليل ، ودق الطبول بعنف عند ظهور العدو داخل مياه الاسكندرية (الإقليمية) ، لكى يعد كل مجاهد نفسه ، ويأخذ مكانه للدفاع والحرب .

« ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » سورة الأنفال آية ٤٥

٢ — الوثيقة سطر ١٢١ — ١٢٣ ، اللوحة رقم ١٠ — روى الترمذى عن ابن عباس عن الرسول(ص) أنه قال : « عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله »

الشوكانى : نيل الأوطار جـ ٧ ص ٢٢٢ .

(٣) الوثيقة سطر ١٢٣ ، اللوحة رقم ١٠ .

(٤) الوثيقة سطر ١٢٤ .

(٥) الوثيقة سطر ١٢٦ — ١٢٧ .

(٦) الوثيقة سطر ١٢٨ — ١٢٩ ، اللوحة رقم ١١ .

(٧) الوثيقة سطر ١٣٠ — ١٣١ ، اللوحة رقم ١١ .

(٨) الوثيقة سطر ١٣٢ — ١٣٣ ، اللوحة رقم ١١ .

(٩) نصت الوثيقة على أن ذلك يكون حسب ما يكفيهم كل يوم خارجاً عن جوامكهم—الوثيقة سطر ١٣٤ ، اللوحة رقم ١١ ، ولذلك فمن المحتمل استخدام أحد الحواصل بالبرج كمخزن للقمح والغلال .

١٣ — ثمن فرش وحصر وقناديل وآلة شرب وكنس وعمارة البرج [١] بالغا ما بلغ

أما الشروط الخاصة بالوقف على البرج اليشبكى فنها :

ا — شروط خاصة بالربع من حيث قلة المتحصل أو زيادته ، أو تعذر الصرف على البرج والمقاتلين وأرباب الوظائف به [٢] .

ب — شرط النظر للواقف الأمير يشبك ، وإن تعذر ذلك كان للناظر على البرج الكبير الأشرفى [٣] — أعنى قلعة قايتباى .

جـ — الشروط الخاصة بالزيادة والنقصان والإدخال والإخراج وغيرها (الشروط العشرة) — وقد اشترطها الواقف لنفسه فقط دون غيره [٤] .

***

ثانيا : أما النصف الثانى من أراضى ناحية صندلا بالغربية ومنية حلفا بالمنوفية بالوجه البحرى ، والربع من الأقاف التى بالوجه القبلى بماكوسة وتوابعها ، فيصرف ما يتحصل منه فى ثمن خبز بر طيب وقمحية [٥] ، تفرق على الفقراء والمجاورين بالجامع الأزهر ممن لم يكن له وظيفة ؛ لكل رغيفان وقصعة قمحية مع لحم يوميا [٦] ، هذا بالاضافة إلى أجرة حريق الخبز وأجرة الطباخين ، وثمن الحطب وقدر للطبخ [٧] ؛ وما فضل من الطعام أو الخبز أو اللحم يتصدق بالفاضل منه على الفقراء الواردين على الجامع الأزهر [٨] ، وإذا تعذر ذلك كان الصرف للفقراء بالمدينة المنورة بالحجاز [٩] ، بشرط أن يضاف لمصارف دشيشة السلطان

(١) الوثيقة سطر ١٣٥ ، اللوحة رقم ١١ .
(٢) الوثيقة سطر ١٣٧ — ١٤١ .
(٣) الوثيقة سطر ١٤٣ — ١٤٥
(٤) الوثيقة سطر ١٤٧ — ١٤٩ .
(٥) القمحية هى غذاء الصوفية والفقراء ، وكانت تطبخ باللحم والمرق واللبن والقمح .
(٦) الوثيقة سطر ١٥٢ — ١٥٤ ، اللوحة رقم ١٢ .
(٧) الوثيقة سطر ١٥٥ .
(٨) الوثيقة سطر ١٥٦ — ١٥٧
(٩) الوثيقة سطر ١٦١ — ١٦٣ ، اللوحة رقم ١٣ .

جقمق [1] ، وإذا تعذر ذلك كان الصرف للفقراء والمساكين أينما كانوا وحيثما وجدوا [2].

وقد شرط الأمير يشبك أن يكون النظر على الوقف المتعلق بالفقراء المجاورين بالجامع الأزهر ، لكل من الأمراء أصحاب السيوف : تانى بك قرا ويشبك الجمالى[3] وجانم دوادار الأمير يشبك[4] وسودون الطويل ومغلباى البهلوان وتغرى بردى الخازندار بخدمته وقانصوه الدوادار بخدمته وكرتباى الخازندار بخدمته ، وأخيراً للأمير الدوادار الكبير بالديار المصرية [5] .

ثم ترد فى الوثيقة بعد ذلك ، الشروط المختلفة التى نص عليها الواقف الأمير يشبك من مهدى فيما يخص الوقف على الفقراء بالجامع الأزهر الشريف [6] .

أما تاريخ الوثيقةالوارد فى البروتوكول الختامى فهو ٩ ربيع آخر سنة ٨٨٥هـ[7].

***

والحقيقة أن قلعة الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير كانت تخـدم أغراضا مختلفة حربية ودينية ومدنية — تجارية بوجه خاص — فضلا عن اتخاذها سجناً أو معتقلا سياسياً فى بعض الأحيان ، ويتضح ذلك مما يلى :

---

(١) عن وقف الدشيشة الكبرى التى كانت ترسل من مصر للمدينة بالحجاز — أنظر :
وثيقة السلطان جقمق رقم ١٠٨ محفظة ١٧ محكمة بتاريخ ٨٥٣ هـ .
وثيقة السلطان قايتباى رقم ٨٨٥ أوقاف بتاريخ ٨٩٤ هـ ص ٢٨ ، ١٥١ .
ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٠٣ ، ج ٥ ص ٣٩٤
وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمير يشبك أصله من مماليك السلطان جقمق فهو من مشترواته كما سبق أن أشرنا .

(٢) الوثيقة سطر ١٦٤ ، اللوحة رقم ١٣ .

(٣) هو الأمير يشبك بن عبـد الله الجمالى الناظر فى الحسبة الشريفة — وثيقة استبدال رقم ٦٨٠ ج أوقاف .

(٤) هو الأمير السيفى جانم بن عبد الله السيفى قانى باى البهلوان — وثيقة وقف رقم ٩٥ ج أوقاف .

(٥) الوثيقة سطر ١٦٦ — ١٧٥ ، اللوحة رقم ١٣ .

(٦) الوثيقة سطر ١٧٦ — ١٨٢ .

(٧) الوثيقة سطر ١٩٣ — ١٩٤ ، اللوحة رقم ١٤ .

أولا : لقد بنيت هذه القلعة لكى تتحكم – هى وقلعة السلطان قايتباى بموقعهما الفريد والحصين – فى مدخل الميناء الشرقى بالاسكندرية فى نهاية العصور الوسطى ، وفى منع مراكب الأعداء – من العثمانيين والصليبيين أو القراصنة الفرنج – وصدهم عن مهاجمة الثغر المحروس ؛ ومما لا شك فيه أن هذا البرج قد لعب دورا له وزنه فى هذا الشأن بالرغم من صمت المراجع التاريخية .

ومن المعروف أن مدى الرمى Range للمدافع فى ذلك الوقت وقبله من فوق أسوار قلعة الجبل بالقاهرة ، كان يصل بالقذائف من الحجر أو الحديد إلى الصليبية الطولونية ؛ وكذلك يذكر لنا القلقشندى أن القذائف كانت تصل من ميدان الاسكندرية إلى بحر السلسلة خارج باب البحر ، وهى مسافة بعيدة[1] تفوق المسافة بين قلعة السلطان قايتباى وقلعة الأمير يشبك المواجهة لها .

ومن ثم يمكن القول بأن المدافع فى كل من القلعتين أو البرجين – الكبير الأشرفى والصغير اليشبكى – كانت تتمكن بسهولة ، من ضرب أى محاولة لسفن العدو الحربية ، لدخول الميناء الشرقى بالاسكندرية ، أو مهاجمة المدينة ؛ فقد كان يوجد فى البرج اليشبكى – كما فى قلعة قايتباى – حواصل مشحونة بالأسلحة والنفط وآلات الحرب المختلفة (زردخاناه) ، كما كان به عدد من المقاتلين وزردكاش ونفطية بارودية للرمى بالمدافع وغيرها على الأعداء المهاجمين للثغر على حد قول الوثيقة[2] .

ثانيا : لاشك أنه كان بقلعة الأمير يشبك – كما هو الحال فى قلعة قايتباى – مسجد لطيف أو صغير للصلاة ، فقد نصت الوثيقة على وجود إمام ومؤذن[3] ؛ وكذلك كان بها خزان صغير للمياه العذبة من أجل الشرب والوضوء وغير ذلك

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٦ – ١٣٧

(٢) الوثيقة سطر ١٠٧ – ١١٣ ، أنظر كذلك ما ورد فى وثيقة وقف جلبان بالمكتبة الظاهرية بدمشق عن قلعة طرابلس وصيدا .

(٣) الوثيقة سطر ١٢٣ – ١٢٤ ، أنظر كذلك ما ورد فى وثيقة وقف جلبان بالمكتبة الظاهرية بدمشق عن قلعة طرابلس وصيدا .

بدليل وجود سقا [١] ؛ وربما وجد بها طاحون وفرن من أجل إعداد الخبز للمقيمين بالبرج من المقاتلين ، وأرباب الوظائف الدينية وغيرهم [٢] .

ثالثا : كانت هذه القلعة كذلك بمثابة منار لهداية السفن التجارية الاسلامية وغير الاسلامية ، التي ترد محملة بالبضائع المختلفة من موانى البحر المتوسط إلى ميناء الاسكندرية ، إذ تذكر الوثيقة وجود مصابيح بالبرج باطنا وظاهرا [٣] حتى يرى بحارة السفن أضواءها أثناء الليل فيتجهون إليها .

رابعا : كانت هذه القلعة تستخدم أحيانا كسجن أو معتقل سياسى للسلاطين المعزولين أو الأمراء المماليك المغضوب عليهم ، فقد جاء فى أحد المصادر التاريخية ما نصه :

« . . . . . وأخبر هذا البعض من الحجازيين أن الملك الظاهر قانصوه خال الناصر ، حى باق ، وهو مقيم ببرج يشبك الدوادار بالاسكندرية ، وقد كان أشيع أن العادل أرسل قتله » [٤] .

(١) الوثيقة سطر ١٣٠ — ١٣١ .

(٢) الوثيقة سطر ١٣٤ .

(٣) الوثيقة سطر ١٣٢ — ١٣٣ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان (نشر د . محمد مصطفى) جـ ١ ص ٢٤٢ .

ولعل هذا هو النص الوحيد فى المصادر التاريخية الروائية ، الذى أشار إلى برج الأمير يشبك من مهدى الدوادار بالاسكندرية ، وللأمانة العلمية فقد أرشدنى إليه كل من الأستاذ الدكتور محمد مصطفى مدير متحف الفن الاسلامى سابقا ، وصديقى الفاضل المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب رحمه الله رحمة واسعة.

النص

وجه الوثيقة

(. . . . .)

(. . . . .)

١ ــ (....) الوقو على شي منها كان له سريعا وبعد (...)

٢ ــ واشهد عليه شهوده وهو حال صحته وسلامته ورغبته في الخير وارادته انه وقف

٣ ــ وحبس وسبل وابد وحرم وتصدق بجميع ماذكر انه له وبيده وفي ملكه وتصرفه مما ياتي (ذكره فيه بجميع ما فيه)

٤ ــ الجاري في يده مكتوب تبايع ورقا حويا دالا على ملكه لذلك ولغيره مورخابالرابع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة احدى وثمانين (وثمانماية)

٥ ــ كاتبا مع مالحق اصلا وفصلا محكوما بموجبه بعد استيفا الشرايط الشرعية والعلم بالخلاف في ذلك من سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى

٦ ــ الشيخ صدر الدين بن الرومي الحنفي خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية اعز الله تعالى احكامه واحسن اليه بمقتضى اسجاله الكريم المسطر بظاهر (٥)

٧ ــ المورخ بالسابع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة

احدى وثمانين وثمان ماية بشهادة شهوده عليه بذلك وخصم المكتوب المذكور بقضية هذا الوقف خصما (شرعيا)

٨ — موافقا لتاريخه وشهوده واستعادة الواقف المشار اليه فيه هو جميع الحصة التى مبلغها ثمان حصص وتسعة وار (...) بعد (...) التس (...)

حصة مبلغها ثمان حصص وتسعة قراريط وثلث قيراط من حصة من أصل أربعة عشر حصة من أراضى ناحية صندلا بالغربية

٩ — على الشيوع وثلث قيراط من حصة من اصل اربعة عشر حصة شايعا ذلك من جميع اراضى ناحيه صندلا بالغربية

١٠ — ولكامل اراضيها حدود اربعة الحد القبلى ينتهى الى اراضى منية ديبه والحد البحرى

١١ — ينتهى الى اراضى منيه الحمرا والحد الغربى ينتهى الى اراضى ناحية حصة صندلا والحد الشرقى

١٢ — ينتهى الى اراضى ناحية بلشانة وجميع الحصة الت مبلغها النصف اثناعشر سهما وزيادة على ذلك

النصف إثنا عشر سهماً وزيادة نصف وربع وثمن سهم من منية حلفا بالمنوفية

١٣ — نصف سهم وربع سهم وثمن سهم من اصل اربعة وعشرين سهما شايعا ذلك من جميع اراضى ناحيه منية حلفا بالمنوفية

١٤ — ولكامل اراضيها حدود اربعة الحد القبلى ينتهى الى اراضى كوم دكما* والحد البحرى ينتهى الى اراضى (ناحية)**

---

* النص الوارد فى الوثيقة رقم ٦٦ ج أوقاف يبدأ من أول « كوم دكما والحد البحرى .... » سطر ١٤

** ورد على الهامش الأيمن للوثيقة وبطول الدرج فيما بين السطر ١٤–١٩ النص التـالى :

١ — الحمد لله

٢ — يشهد من يوضع اسمه فى آخره بمعرفة جميع اراضى ناحيتى صندلا ومنية خلف المحدود كل منهما المعين بكتاب الوقف المسطر باعاليه المعرفة الشرعية النافية للجهالة ويشهدون فى ذلك بجريان ما شمله الوقف .

١٥ ــ مليج ووالحد الشرقى ينتهى الى اراضى بحر المحلة والحد الغربى ينتهى الى غيط المصيلحة بحد ذلك كله وحدوده

١٦ ــ وحقوقه الداخلة فيه والخارجة عنه ومايعرف بذلك وينسب اليه خلاما باراضى الناحيتين المذكورتين فيه من الرزق الجيشية

١٧ ــ والاحباسية وطرق المسلمين ومقابرهم وسبلهم ومساجدهم المعلوم ذلك اصلا ومستثنى عند الواقف المشار إليه اعلاه

١٨ ــ العلم الشرعى النافى للجهالة هذا ماوقفه الواقف المشار اليه اعلاه فى يوم تاريخه واما وقفه

١٩ ــ السابق على تاريخه الصادر منه ومن وكيله الجناب العالى الاميرى السيفى تغرى بردى الخازندار الملكى الاشرفى اعزه الله تعالى

أراضى ناحيةماكوسة وما هو من حقوقها بالأشمونين بالوجه القبلى

٢٠ ــ على ما يبين ويشرح فيه فهو جميع اراضى ناحية ماكوسة وما هو من حقوقها الكاين ذلك باقليم الاشمونين بالوجه القبلى ولكامل اراضيها

٢١ ــ حدود اربعة الحد القبلى ينتهى الى اراضى ناحية طحنشا وبنى احمد والحد البحرى ينتهى بعضه الى اراضى ناحية

= ٣ ــ المسطر اعلاه من اراضى الناحيتين المذكورتين اعلاه فى ملك المقر الاشرف السيفى يشبك الواقف المشار إليه فيه اعز الله تعالى أنصاره وحيازته وتصرفه حال صدور وقفه لذلك المعين اعلاه بموجب ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٤ ــ شهدا بمضمونه	شهد بمضمونه
٥ ــ المحب أبو الفضل عبد الرحمن بن الأمين	عبد الغنى بن محمد الشهير
٦ ــ الحلبى الحنفى عفا الله عنه .	بكاتب الخزانة

٢٢ — منية بنى خصيب وترعة ابو الهدر وحوض ملامه وباقيه الى اراضى ناحية تلا من كفور ناحية بنى خصيب

٢٣ — والحد الشرقى ينتهى الى جزاير ناحية ماكوسة والبحر الاعظم والحد الغربى ينتهى الى اراضى تلا من كفور

٢٤ — بنى خصيب الشاهد له بملك ذلك حال وقفه فصل التبايع المسطر بمكتوب اصله الورق الحموى المورخ بالسابع والعشرين من شهر الله المحرم الحرام سنة

٢٥ — اربع وسبعين وثمان مية المنبه عليه فى مكتوب الوقف الاتى ذكره فيه وهذه الارض وهى ارض ماكوسة المذكورة اعلاه هى التى وقفها الواقف

٢٦ — المشار اليه اعلاه قبل تاريخه بمقتضى كتاب وقف شرعى ورقا حمويا على جهات بر وقربات عينها فى كتاب وقفه المذكور فيه وشرط لنفسه

٢٧ — ان يزيد فى وقفه المذكور ما يرى زيادته وينقص ما يرى تنقيصه ويغير ما يرى تغييره ويدخل فيه من شا ويخرج منه من اراد ويشترط من

٢٨ — الشروط المخالفة لما شرط فيه ما يرى اشتراطه يفعل ذلك كلما بدا له مورخ كتاب الوقف المذكور بالسابع والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة اربع

٢٩ — وسبعين وثمان مابة وجميع اراضى جزاير ماكوسة المذكورة اعلاه المشهورة بماكوسة الشرقية وبعض ذلك الان يعرف بالمنصورية

اراضى جزاير ماكوسة الشرقية ويعرف بعض ذلك الآن بالمنصورية

٣٠ — ولكامل اراضى ذلك حدود اربعة الحد القبلى ينتهى بعضه الى اراضى ناحية بنى احمد وباقيه الى اراضى ناحية طحنشا والحد

٣١ — البحرى ينتهى بعضه الى اراض ناحية منية بن خصيب

وباقيه إلى ترع أبو الهدر والحد الشرقى ينتهى بعضه الى اراضى الابراج

٣٢ — وباقيه إلى البحر الاعظم والحد الغربى ينتهى الى الجسر الفاصل بين ذلك وبين اراضى ناحية ماكوسة القديمة المعروفة بالغيط الغربى

أراضى جزاير قبالة ملامة المفردة من أراضى منية بنى خصيب بجوار ماكوسة

٣٣ — وجميع اراضى جزاير قبالة ملامة المفردة من اراضى منية بنى خصيب الملاصقة لاراضى ماكوسة المذكورة

٣٤ — ولكامل اراضيها حدود اربعة الحد القبلى ينتهى الى اراضى ماكوسة القديمة المعروفة الان بالغيط الغربى

٣٥ — والحد البحرى ينتهى بعضه الى اراضى ناحية منية [بنى]* خصيب وباقيه الى ترعة تعرف بابو الهدر المذكورة اعلاه والحد الشرقى

٣٦ — ينتهى الى اراضى ماكوسة المذكورة والحد الغربى ينتهى الى اراضى ناحية تلا الجارى ذلك فى ملك المقر السيفى يشبك الواقف

٣٧ — المشار اليه اعلاه حال وقف ذلك بدلالة فصل التبايع المؤرخ بالخامس والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة اربع وسبعين وثمان ميه المسطر بظاهر المكتوب

٣٨ — الورق الحموى كاتبه عليه فى وقف ذلك وهذه الجزاير التى بماكوسة الشرقية والجزاير التى بقبالة ملامة هى التى باشر وقفها

٣٩ — بطريق التوكيل عن المقر السيفى يشبك الواقف المشار اليه فيه وتعاطى ما يشرح فيه وكيله فى ذلك الجناب العالى الاميرى

---

* عن نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج .

٤٠ — السيفى تغرى بردى الخازندار الملكى الاشرفى اعزه الله تعالى على جهات بر وقربات عينها فى فصل وقفه ذلك المسطر بكتاب

٤١ — الوقف المذكور اعلاه وشرط هذا الواقف المشار اليه فيه بطريق الوكالة المنبه عليها اعلاه لموكله المقر السيفى يشبك المشار اليه اعلاه

٤٢ — ما شرطه موكله المشار اليه لنفسه فى وقفه الاول المعين اعلاه من الزيادة والنقصان فى هذا الوقف والتغيير والتبديل والادخال

٤٣ — والاخراج وغير ذلك من الشروط المعينة اعلاه على ما نص وشرح فى كتاب الوقف المذكور فيه المورخ فصل الموقف المذكور الذى بطريق التوكيل

٤٤ — بالسابع والعشرين من شهر ربيع الاخر سنة ربع وسبعين وثمان مابة الثابت ذلك وجريان الموقوف المذكور فى ملك المقر السيفى يشبك المشار اليه اعلاه

٤٥ — وحيازته وتصرفه الى حين صدور وقف ذلك على ما شرح فى فصل الملك والحيازة المسطر بهامش مكتوب الوقف الاول المذكور

٤٦ — الثبوت الشرعى لدى سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله تعالى قاضى القضاة محب الدين قاضى المسلمين خالصة امير المومنين ابى الفضل محمد بن

٤٧ — الشحنة الحنفى الناظر فى الاحكام الشرعية بالديار المصرية كان اعز الله تعالى به الدين ونفع بعلومه الاسلام والمسلمين بشهادة شهود ذلك

٤٨ — المعلم لهم تلورسوم شهاداتهم اعلام التادية والقبول على الرسم المعهود فى مثله وحكم بموجب ذلك وبصحته ولزومه

٤٩ — بعد استيفا الشرايط الشرعية وعلمه بالخلاف فى ذلك حسبما تضمن ذلك اسجاله الكريم المسطر بظاهر كتاب الوقف المذكور

٥٠ — المورخ بيوم السبت المبارك السادس من جمادى الاولى الاولى سنة اربع وسبعين وثمان ماية ونفذ هذا الحكم سيدنا ومولانا العبد

٥١ — الفقير إلى الله تعالى قاضى القضاة عز الدين قاضى المسلمين خالصة امير المؤمنين ابو البركات احمد الكنانى العسقلا الحنبلى الناظر فى الاحكام

٥٢ — الشرعية بالديار المصرية كان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان بمقتضى اسجاله الكريم المسطر بذيل ذلك المورخ بالسابع من جمادى الاولى سنة

٥٣ — اربع وسبعين وثمان ميه ونفذ هذا التنفيذ سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله تعالى السيد الشريف الحسيب النسيب قاضى القضاة سراج الدين قاضى

٥٤ — المسلمين خالصة امير المومنين ابو حفص عمر بن الشيخ الحسينى المالكى الناظر فى الاحكام الشرعية بالديار المصرية كان اعز الله تعالى احكامه واسبغ عليه انعامه

٥٥ — بمقتضى اسجاله الكريم المسطر بكتاب الوقف المذكور المورخ بالرابع والعشرين من جمادى الاولى سنة اربع وسبعين وثمان ماية ونفذ هذا التنفيذ سيدنا

٥٦ — ومولانا العبد الفقير الى الله تعالى قاضى القضاة خطيب الخطبا شيخ الاسلام ولى الدين قاضى المسلمين خالصة امير المومنين ابو الفضل احمد الاسيوطى الشافعى

٥٧ ــ الناظر فى الاحكام الشرعية بالديار المصرية وساير المالك الشريفة الاسلامية ادام الله تعالى ايامه الزاهرة وجمع له بين خيرى الدنيا والاخرة

٥٨ ــ بمقتضى اسجاله الكريم المسطر بكتاب الوقف المذكور المورخ بيوم الجمعة (*) السادس والعشرين من جماد الاولى سنة اربع وسبعين وثمان مية

القطعة الأرض المعروفة بالرملة باراضى ماكوسة من أعمال الأشمونين

٥٩ ــ وجميع القطعة الارض المعروفة بالرملة باراضى ناحية ماكوسة من اعمال الاشمونين المعروفة قديماً بشاهين الزينى الفقيه

٦٠ ــ ويحصرها حدود أربعة الحد القبلى ينتهى الى سواقى ابن قاسم الشهير بابن الفقيه والحد البحرى ينتهى الى ترعة ابو الهدر والحد

البستان الكاين بأرض ماكوسة المعروف بغيط النصارى

٦١ ــ الشرقى ينتهى الى البحر الاعظم والحد الغربى ينتهى الى اراضى الناحية المذكورة وجميع البستان الكاين باراضى ماكوسة

٦٢ ــ المذكورة من عمل الطحاوية المعروف بغيط النصارى ويحصر ذلك حدود اربعة الحد القبلى ينتهى الى الفلاه والحد البحرى

٦٣ ــ ينتهى الى الترعة المعروفة بترعة ابو الهدر والحد الشرقى ينتهى الى جزيرة ماكوسة والحد الغربى ينتهى الى الطريق السلطانى

٦٤ ــ وفيه باب ذلك المشتمل ذلك على سياج داير عليه ودار بقر وبيرما معين وانشاب بلح متخللة بارضه ومنافع وحقوق وهو الذى جدده

القطعة الأرض المعروفه ببير الموجه من حقوق البستان بماكوسة

٦٥ ــ الواقف المشار اليه اعلاه وجميع القطعة الارض المعروفة ببير الموجه التى من حقوق البستان المذكور فيه ويحصرها حدود اوربعة

* كان التوثيق على أيدى القضاة يتم فى يوم الجمعة كذلك .

٦٦ ــ الحد القبلى ينتهى الى غيط ماكوسة المذكورة والحد البحرى ينتهى الى زواية الشيخ كريم والحد الشرقى ينتهى الى ترعة

٦٧ ــ ماكوسة المذكورة والحد الغربى ينتهى الى الطريق السلطانى الشاهد للواقف المشار اليه بملك ذلك حال وقفه المكتوب الورق الحموى

٦٨ ــ المورخ بالثامن من شهر الله المحرم سنه خمس و سبعين وثمان مايه الثابت ذلك (*) المحكوم به فى الشرع الشريف كما نبه عليه فى كتاب وقف ذلك وهذه

٦٩ ــ الارض المعروفة بالرملة والبستان المعروف بغيط النصارى والقطعة الارض التى من حقوقه هو الذى/وقفه المقر السيفى يشبك

٧٠ ــ الواقف المشار اليه اعلاه اعز الله تعالى انصاره قبل تاريخه على جهات برعينها فى فصل وقفه الجامع لذلك ولغيره المورخ بالثانى من شوال سنة

٧١ ــ خمسة وسبعين وثمان مايه المسطر بكتاب وقفه الاول المذكور اعلاه وشرط لنفسه فى وقفه هذا الزيادة والنقصان الادخال والاخراج

٧٢ ــ والتغيير والتبديل واشتراط ما يرى اشتراطه من الشروط المخالفة لما شرطه فى هذا الوقف وتقرير ما يرى تقريره وترتيب ما

٧٣ ــ يرى ترتيبه يفعل ذلك المرة بعد الاخرى كلما بدا له ذلك مع بقا اصل الوقف على حكمه وثبت ذلك وجريان الموقوف المذكور فى ملك

٧٤ ــ الواقف المشار اليه وحيازته وتصرفه الى حين صدورا

* من هنا ناقص فى نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج حتى السطر رقم ٧٩

الوقف المذكور الثبوت الشرعى لدى سيدنا ومولانا قاض القضاة محب الدين ابن الشحنة المشار (اليه) اعلاه

٧٥ — ادام الله تعالى نفعه وعلاه بشهادة شهود ذلك وحكم بموجب ذلك ولزوم الوقف المذكور ونفوذه بمقتضى اسجاله الكريم المسطر بكتاب

٧٦ — الوقف المذكور المورخ بالثلاثين من المحرم الحرام سنة سبع وسبعين وثمانماية ونفذ هذا الحكم سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله تعالى

٧٧ — قاضى القضاة بدر الدين قاضى المسلمين خالصة امير المومنين ابو المعالى محمد السعدى الحنبلى الناظر فى الاحكام الشرعية بالديار المصرية اعز الله تعالى

٧٨ — احكامه واسبغ عليه انعامه بمقتضى اسجاله الكريم المسطر بكتاب الوقف المذكور المورخ بثانى صفر الاغر سنة سبع وسبعين وثمان ماية

٧٩ — ونفذ هذا التنفيذ سيدنا ومولانا قاضى القضاة سراج * الدين المشار اليه اعلاه اعز الله تعالى احكامه واحسن اليه واسبغ نعمه عليه بمقتضى اسجاله الكريم

٨٠ — المسطر بكتاب الوقف المذكور المورخ بالثالث من صفر الاغر سنة سبع وسبعين وثمان ماية ونفذ هذا التنفيذ سيدنا ومولانا قاضى القضاة خطيب الخطبا

٨١ — شيخ الاسلام ولى الدين المشار اليه اعلاه بلغه الله تعالى من جزيل الخير مايتمناه بمقضى اسجالة الكريم المسطر بكتاب الوقف المذكور المورخ بالرابع من

* نهاية النقص فى نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج .

أول
شروط الواقف

٨٢ ـــ صفر الاغر سنة سبع وسبعين وثمانماية وقفاً صحيحاً شرعيا وحبساً صريحاً مرعيا قايما على اصوله

٨٣ ـــ محفوظاً على شروطه مسبلا على سبله التى تذكرفيه الى ان يرث الله تعالى جل ذكره وتقدست اسماوه الأرض

٨٤ ـــ ومن عليها وهو خير الوارثين انشا الواقف المقرالسيفى يشبك المشار اليه اعلاه تقبل الله تعالى بره

٨٥ ـــ وصدقته وبلغه فى الدارين امنيته وقفه هذا على ماياتى ذكره مبيناً وشرحه مفصلا معيناً

٨٦ ـــ وهو (أن)* الناظر على ذلك والمتولى عليه يضم ربع وقفه هذا الصادر منه فى يوم تاريخه وهوما

٨٧ ـــ وقفه من اراضى ناحية صندلا بالغربية ومنية خلف بالمنوفية المحدود كل منها باعاليه المعروف ذلك ببلاد المال

٨٨ ـــ بمعنى ان المتحصل من خراجهما نقد ذهباً وفضة الى ربع اوقافة السابقة على تاريخه المذكورة المحدودة باعاليه

٨٩ ـــ وهى التى بالوجه القبلى باراضى ماكوسة الغربية والشرقية والجزاير بما فى ذلك من الارض المعروفه بالمنصورية والبستان

٩٠ ـــ المعروف بغيط النصارى وغير ذلك معا يتعلق بالاوقاف السابقه على تاريخه المبينة اعلاه التى بالوجه القبلى المعروفة

٩١ ـــ ببلاد الغلال بمعنى ان خراجها غلال قمحاً وغيره من الحبوب ماعدى البستان فان خراجه نقد وهذه الاوقاف

٩٣ ـــ القديمة السابقة على تاريخه المعينة اعلاه هى التى غير الواقف المقر السيفى يشبك المشار اليه اعلاه جميع مصارفها

* عن نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج .

٩٣ ـــ والنظر عليها المعين ذلك فى كتب اوقافها المنبه عليها واقتضى رايه فيها الان ان يصرف ربعها فى المصاريف

٩٤ ـــ التى يشرح فيه دون ماقبل تاريخه وان يكون النظر على ذلك لمن يشرط النظر له عليه على النص والترتيب الآتى شرحهما

٩٥ ـــ فيه يكون المعول عليه المعمول به فى ذلك استحقاقاً ونظراً ما فى هذا المكتوب من المصارف والنظر الآتى شرح ذلك فيه دون غيره

٩٦ ـــ مما سبق على تاريخه لما شرطه وشرط له فى الأوقاف المذكورة اعلاه من الزيادة والنقص والادخال والاخراج والتغيير

٩٧ ـــ واشتراط ما يرى اشتراطه مما يخالف ما سبق منه قبل تاريخه وما سبق من وكيله على ما تقدم شرحه اعلاه كلما بدا له

٩٨ ـــ ويضيف المتحصل من الاوقاف السابقة على تاريخه المعينة اعلاه الى المتحصل من الاوقاف الصادرة فى تاريخه المعينة اعلاه بحيث يصير ذلك

مصارف وقف البرج السعيد اللطيف المنسوب للواقف المشار اليه الكاين بثغر سكندرية تجاه البرج الكبير الاشرفى

٩٩ ـــ كالوقف الواحد ويصرف ذلك جميعه فيما يذكر فيه على ما يفصل فيه فيصرف النصف

١٠٠ ـــ من جميع ما يتحصل من خراج الوقف الصادر فى تاريخه مما هو باراضى ناحيتى صندلا ومنية خلف المذكورتين اعلاه سو (ا) *

١٠١ ـــ والربع من جميع ما يتحصل من خراج الاوقاف السابقة على تاريخه وهى التى بالوجه القبلى باراضى ماكوسة من عمل الاشمونين بما فيه

* ناقصة فى نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج .

١٠٢ — من المنصورية والبستان وما مع ذلك من الاوقاف السابقة على تاريخه المعينة اعلاه التى بالوجه القبلى فى مصالح البرج

١٠٣ — السعيد المبارك اللطيف الكاين بظاهر ثغر سكندرية المحروس المنسوب للواقف المشار اليه اعلاه المعروف بالبرج

١٠٤ — الصغير وبانشا مولانا المقام الشريف السلطان الماللك الملك الاشرف ابى النصر قايتباى نصره الله تعالى نصراً عزيزاً

١٠٥ — وفتح له فتحاً مبيناً ولارباب الوظايف والمقاتلة اجناد العدة التى ترصد للجهاد فى سبيل الله تعالى كل ذلك بالبرج المذكور اعلاه

١٠٦ — وفى عمارته ومرمته وما فيه بقا عينه ودوام منفعته على مايأتى شرح ذلك وتفصيله فيه فيصرف من ذلك كل شهر يمضى من

١٠٧ — شهور الاهله من الفلوس معاملة الديار المصرية الان عشرون الف درهم نصف ذلك عشرة الاف درهم او ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف

١٠٨ — لعشرين نفراً رجالا من اجناد العدة الذين يصلحون للقتال والجهاد فى سبيل الله تعالى يقيمون بالبرج المذكور اعلاه للجهاد

جامكية أجناد العدة بالبرج السعيد والزردكاش منهم العدة فى كل عشرين شهر نفراً مبلغ كل نفر فلوس ألف عشرين درهم فى الف الشهر درهم

١٠٩ — والقتال وكف العدو المخذول عن الثغر المذكور وعن المسلمين وغير ذلك على عادة امثالهم فى ذلك بحيث يكون واحد منهم زردكاش

١١٠ — برسم اسلحة البرج المذكور واصلاحها وتعهدها يتعاطى ذلك وغير ذلك مما جرت عادة الزردكاشية بعمله فى مثل ذلك ويصرف لكل واحد من العشرين

١١١ — المذكورين فيه فى كل شهر يمضى من شهور الاهله من الفلوس الموصوفة اعلاه الف درهم نصف ذلك خمس ماية درهم ويصرف كل شهر يمضى من شهور الأهلة

١١٢ — من الفلوس الموصوفة اعلاه الفا درهم نصف ذلك الف درهم او ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف لاربعة انفار رجالا نفطية بارودية

نفطية بارودية العدة كل شهر أربعة بالسوية أنفار ألفى كل نفر درهم خمسماية درهم

١١٣ — عارفين برمى المدافع والمناجنيق وغير ذلك من انواع الرمى وما فيه نكاية اعدا الدين وكفهم عن اذى المسلمين يرصدون بالبرج المذكور

١١٤ — للرمى المذكور عند الاحتياج الى ذلك وغير ذلك مما جرت عادة البارودية والنفطية بعمله فى مثله (*) بحيث يقيمون بالبرج المذكور لكل نفر منهم فى كل

١١٥ — شهر خمس ماية درهم فلوسا واماباش اجناد العدة المذكورين اعلاه فان الواقف المشار اليه اعلاه ذكرانه ارصد له ما يتحصل

بيان ما يكون لباش العدة وهو الخمس من أرض كنيسة الغيط بالبحيرة يستغل ريعها+ بالغاً ما بلغ

١١٦ — من خراج الحصة التى مبلغها الخمس من ارض كنيسة الغيط بالبحيرة بالغاً ما بلغ عن جاميكة باش العدة المذكورة بالبرج المذكورة بمستند غير هذا

١١٧ — المستند وذكر الواقف المشار اليه ان المتحصل من خراج الخمس المذكور من كنيسة الغيط بالبحيرة كل سنة اربعة وخمسون الف درهم فيكون متحصلها له قليلا كان او كثيراً

---

* وردت « فى مثل ذلك » فى نسخة الأوقاف ٦٦ ج .

+ وردت « خراجها » فى نسخة الأوقاف ٦٦ ج .

١١٨ — ويصرف كل شهر يمضى من شهور الاهلة من الفلوس الموصوفة اعلاه الفا درهم نصف ذلك الف درهم او مايقوم(مقام)* ذلك من النقود عند الصرف

أربعة رجال اثنين رقيبين طبالين واثنين انيسين كل شهر الفى درهم لكل واحد خمساية درهم

١١٩ — لاربعة رجال بالسوية بينهم لكل واحد منهم فى كل شهر خمسماية درهم فلوساً اثنين منهم يكونان رقيبين بطبلين واثنان منهم يكونان انيسين يقيمون بالبرج

١٢٠ — المذكور لارهاب العدو والمخذول ولاعلام الناس والمقاتلة اذا ورد العدو المخذول بالورود عليهم ليعتدوا لقتالهم على العادة فى ذلك

رجلين حرسيين بالبرج المذكور كل شهر الف درهم لكل واحد خمساية درهم

١٢١ — ويصرف فى كل شهر يمضى من شهور الأهلة من الفلوس الموصوفة اعلاه الف درهم لرجلين حرسيين بالبرج المذكور اعلاه لكل منهما

١٢٢ — فى كل شهر النصف خمس ماية درهم فلوساً او ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف على ان يقيما بالبرج المذكور فيه لحراسته وما به ومن به

الإمام والمؤذن بالبرج المذكور كل شهر ألف درهم لكل واحد خمساية درهم

١٢٣ — ولمراقبة العدو المخذول ليعلما بوروده على العادة فى ذلك ليعتد لقتاله ويصرف لامام يوم بجماعة البرج المذكور فيه

١٢٤ — فى الصلوات على عادة ايمة المسلمين وموذن يعلن بالأذان بالبرج المذكور فى الاوقات الخمس على القاعدة الشرعية فى ذلك فى كل شهر يمضى من شهور

١٢٥ — الاهلة من الفلوس الموصوفة اعلاه الف درهم لكل منهما نصف ذلك خمسماية درهم او ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف ويصرف

* عن نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج .

فراشين بالبرج المذكور كل شهر الف درهم لكل منهما خمساية درهم

١٢٦ — كل شهر يمضي فى شهور الاهلة من الفلوس الموصوفة اعلاه الف درهم او ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف لرجلين فراشين نصفين بالسوية

١٢٧ — لكل منهما نصف ذلك خمس ماية درهم يقيمان بالبرج المذكور لكنسه وتنظيفه وفرشه ووقود مصابيحه وغير ذلك مما جرت عادة الفراشين بعمله فى مثل ذلك

بواب البرج المذكور كل شهر خمساية درهم

١٢٨ — ويصرف كل شهر يمضي من شهور الاهلة من الفلوس الموصوفه اعلاه خمس ماية درهم نصف ذلك مايتا درهم وخمسون درهماً او ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف

١٢٩ — لرجل امين يكون بواباً للبرج المذكور يتعاطى ماجرت عادة البوابين بعمله فى ذلك ويقيم بالبرج المذكور فيه ويصرف كل شهر يمضي من

السقا بالبرج المذكور كل شهر خمساية درهم

١٣٠ — شهور الاهلة من الفلوس الموصوفة اعلاه خمس ماية درهم نصفها مايتا درهم وخمسون درهماً او ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف لرجل يكون سقا

١٣١ — يقيم بالبرج المذكور فيه لتكفية من يكون به من المقاتلة وارباب الوظايف بالما للشرب والوضو والاستعمال على العادة فى ذلك ويصرف

ثمن الزيت الذى يستصبح به فى البرج المذكور كل شهر فلوس خمساية درهم

١٣٢ — كل شهر يمضي من شهور الاهلة من الفلوس الموصوفة اعلاه خمس ماية درهم نصف ذلك مايتا درهم وخمسون درهماً او ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف فى ثمن زيت طيب

١٣٣ — للوقود يستصبح به ليلا فى مصابيح البرج المذكور باطناً وظاهراً على العادة فى ذلك ويعمل كل يوم ما يحتاج اليه من يكون بالبرج المذكور من المقاتلة

١٣٤ – وارباب الوظايف من خبز البر الطيب لاقتياتهم به بحسب ما يكفيهم كل يوم بالغاً ما بلغ يصرف ذلك لهم خارجاً عن جوامكهم ويصرف

تكفية أجناد العدة وأرباب الوظايف بالبرج المذكور بالخبز كل يوم بالغاً ما بلغ

١٣٥ – ما يحتاج الى صرفه مما يتعلق بالبرج المذكور فى ثمن فرش وحصر وقناديل واله شرب وكنس وغير ذلك مما فيه عمارة البرج المذكور وبقاعينه ودوام منفعته

١٣٦ – بحسب الكفاية بالغاً ما بلغ على ما يراه الناظر فى ذلك ويودى اليه اجتهاده فان ضاق المتحصل المذكور المتعلق بالبرج المذكور عن الوفا بذلك

ثمن الالة والفرش والحصر ومامع ذلك بالبرج المذكور فيه

١٣٧ – وزع المتحصل من ذلك على المجاهدين وارباب الوظايف وجهات المصارف بالبرج المذكور بالمحاصة الكل منهم بنسبة ما هو معين له باعاليه فان فاض

بيان حكم ما إذا ضاق المتحصل عن المصارف

١٣٨ – المتحصل عن الوفا بذلك صرف الفايض فى شرا عقار او حصة من عقار ويوقف على حكم شرط الواقف المشار اليه لمصالح البرج المذكور على ما

بيان حكم ما إذا فاض المتحصل بعد تكفية المصارف

١٣٩ – شرح باعاليه ويجعل حكمه كحكمه فى جميع احواله فى الحال والمال والتعذر والامكان والاستحقاق والنظر والشروط بحيث لا يخرج عن حكم ذلك

١٤٠ – ولا يعدل عن رسمه فان تعذر الصرف لمصالح البرج المذكور وأرباب الوظايف به صرف ذلك للفقرا والمساكين بمدينة النبي صلى الله عليه

١٤١ – وسلم على ما يراه الناظر فى ذلك فان تعذر الصرف لهم بها صرف ذلك للفقرا والمساكين من المسلمين اينما كانوا وحيث ما وجدوا على ما يراه الناظر فى

١٤٢ — ذلك ويودى اليه اجتهاده وكلما عاد امكان الصرف الى ما تعذر اليه الصرف عاد اليه الصرف وقدم على غيره يستمر الحال فى ذلك كذلك

شرط النظر

١٤٣ — على الدوام وجعل الواقف المشار اليه اعلاه النظر على وقف هذا البرج المذكور اعلاه لنفسه ايام حياته

١٤٤ — رزقه الله تعالى اطول الاعمار واطيبها وله ان يسنده ويفوضه ويوصى به لمن يختاره فان لم يفعل ذلك او فعل ذلك وتعذر من جعل له ذلك بوجه

١٤٥ — من وجوه التعذرات الشرعية كان النظر على ذلك لمن يكون ناظر على البرج الكبير الاشرفى الكاين بظاهر ثغر سكندرية المنسوب لمولانا المقام الشريف

١٤٦ — السلطان المالك الملك الاشرف ابى النصر قايتباى المنوه باسمه الشريف اعلاه شرفه الله تعالى وعظمه وهو البرج المقابل للبرج الصغير

١٤٧ — الموقوف عليه اعلاه على فم مينة الثغر السكندرى المذكور اعلاه وشرط الواقف المشار اليه اعلاه اعز الله تعالى انصاره لنفسه ان يزيد فى

١٤٨ — مصارف وقف البرج اللطيف المعين اعلاه وشروطه المبين (ذلك)* باعاليه ما يرى زيادته وينقص ما يرى تنقيصه ويغير مايرى تغييره ويرتب ما يرى

١٤٩ — ترتيبه ويدخل من شا فيه ويخرج من شا منه ويشترط من الشروط المخالفة لذلك ما يرى اشتراطه يفعل ذلك كلما بدا له وليس لغيره ان يفعل كفعله

---

* ما بين الحاصرتين عن نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج .

أول مصارف الوقف المتعلق بالفقراء المجاورين بالجامع الأزهر

١٥٠ – والباقى من الاوقاف المذكورة اعلاه الصادرة فى تاريخه والسابقة على تاريخه وهو النصف من الوقف الصادر فى تاريخه مما

١٥١ – هو باراضى ناحيتى صندلا ومنيه خلف المذكورتين اعلاه والنصف والربع من الاوقاف السابقة على تاريخه المعينة اعلاه التى بالوجه

١٥٢ – القبلى بماكوسة وتوابعها المحدود ذلك باعاليه يصرف مايتحصل منه فى خبز بر طيب كل رغيف رطل بالمصرى يعمل ذلك كل يوم

١٥٣ – وفى قمحية تطبخ بلحم ولبن وقمح كل يوم ويفرق ذلك كل يوم صدقة على الفقرا المجاورين بالجامع الازهر ممن لم يكن له وظيفة

١٥٤ – فيعطى لكل فقير منهم كل يوم رغيفان من الخبز المذكور وملى قصعة قمحية من الطعام المذكور مع لحم يجعل له بذلك على مايراه الناظر فى ذلك

١٥٥ – ويودى اليه اجتهاده اومن يقوم مقامه فى ذلك وفيما يحتاج اليه ذلك من اجرة حريق خبز واجرة طباخين وثمن حطب وقدر للطبخ وثمن جرارات (؟) وغير ذلك

١٥٦ – مما يحتاج اليه المطبخ المذكور وعمل الخبز المذكور بحسب الكفاية يستمر ذلك كذلك كل يوم [على الدوام فان فضل [شى] من الطعام او الخبز او اللحم عن تكفيه

[...] ١٥٧ – الفقرا المجاورين المذكورين فيه تصدق بالفاضل [فى يومه على الفقرا الواردين على الجامع الأزهر المذكور اعلاه وهو الكاين بالقاهرة المحروسة

١٥٨ — بحسب مايراه الناظرا او من يقوم مقامه ذلك ويودى اليه اجتهاده فان فاض ربع الوقف عن الوفا بكفايه الفقرا المجاورين بالجامع الأزهر

١٥٩ — المعين ذلك اعلاه ارصد الفايض المذكور تحت يد الناظر على هذا الوقف لما يتوقع الاحتياج اليه فى ذلك وإن شا الناظر ان يشترى بالفايض

١٦٠ — المذكور عقار اوحصه من عقار ويقفه على حكم شرط الوقف فى وقفه المتعلق بالخبز والقمحية المذكور ذلك باعاليه المخصوص بالفقرا المجاورين بالجامع الأزهر

١٦١ — على مانص وشرح اعلاه فى جميع احواله استحقاقاً ونظراً وشرطاً فله ذلك فان تعذر فعل ذلك بالجامع الازهر المذكور فعل ذلك للفقرا

١٦٢ — بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم فيضاف المتحصل من ذلك حينئذ لمصارف دشيشه السلطان السعيد الشهيد الظاهر جقمق سقى الله تعالى عهده

١٦٣ — التى بالمدينة الشريفة المذكورة فيه وتصرف فى مصارفها للفقرا بالمدينة الشريفة على مايراه الناظر فى ذلك او ما يقوم مقامه فيه ويودى اليه اجتهاده

١٦٤ — فان تعذر فعل ذلك كذلك صرف للفقرا بالمدينة الشريفة على مايراه الناظر فى ذلك ويودى اليه اجتهاده فان تعذر صرف ذلك للفقرا بالمدينة الشريفة صرف ذلك للفقرا والمساكين

١٦٥ — من المسلمين اينما كانوا وحيث ماوجدوا على مايراه الناظر فى ذلك ويودى اليه اجتهاده وكلما عاد امكان الصرف إلى ماتعذر اليه الصرف عاد اليه الصرف وقدم

شرط النظر على الوقف المتعلق بمجاورى الجامع الأزهر

١٦٦ ـــ على غيره يجرى الحال فى ذلك كذلك وجودا وعدماً وتعذراً وامكاناً الى ان يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وشرط الواقف

١٦٧ ـــ المشار اليه أعلاه النظر على الوقف المتعلق بالفقرا المجاورين بالجامع الازهر المذكوراعلاه للمقر العالى المولوى الأميرى الكبيرى

١٦٨ ـــ السيدى المالكى المخدومى السيفى تانى بك قرا احد اعيان السادة الأمرا المقدمين بالديار المصرية الملكى الأشرفى اعز اللهتعالى انصاره والمقر العالى المولوى

١٦٩ ـــ الأميرى الكبيرى السيدى المالكى المخدومى السيفى يشبك الجمالى الناظر فى الحسبة الشريفة بالديار المصرية كان وأمير زردكاش الان الملكى الأشرفى اعز الله تعالى انصاره والجناب

١٧٠ ـــ العالى الاميرى السيفى جانم دوادار الواقف المشار اليه كان والجناب العالى الاميرى السيفى سودون الطويل الملكى الأشرفى والجناب العالى الأميرى

١٧١ ـــ السيفى مغلباى البلهوان الملكى الأشرفى والجناب العالى الأميرى السيفى تغرى بردى الخازندار بخدمته والجناب العالى الأميرى السيفى قانصوه (*)

---

* ورد على الهامش الأيمن للوثيقة فيما بين السطر ١٧١ – ١٩٦ النص التالى :

الحمد لله وحده / أشهد عليه المقر الأشرف / العالى السيفى يشبك / الامير الدوادار الكبير / الملكى الاشرفى الواقف المشار اليه / اعلاه اعز الله تعالى انصاره / شهوده اشهاداً شرعياً فى صحته / وسلامته واختياره وطواعيته / ورغبتة فى الخير / وارادته انه وقف / وحبس وسبل وابد وحرم / وتصدق بجميع ما هو جار فى ملكه / وبيده وتصرفه بمقتضى تبايع شرعى / مسطر بمستند شرعى ثابت محكوم بموجبه / فى الشرع الشريف وخصم بقضية ذلك / الخصم الشرعى بشهادة شهوده / وهى حصة كاملة من اصل اربعة عشر / حصة شايعاً ذلك فى جميع أراضى / ناحية صندلا بالغربية المحدود / ذلك الموصوف قريناً حداً ووصفاً / مغنيين عن الاعادة هنا / بحد ذلك كله وحقوقه / الداخلة فيهوالخارجة عنه / وما يعرف

١٧٢ — الدوادار بخدمته والجناب العالى الأميرى السيفى كرتباى الخازندار بخدمته ينظرون فى ذلك مجتمعين ومتفرقين اعزهم الله تعالى ومن توفى منهم استقل .

١٧٣ — الباقون منهم بالنظر على ذلك مجتمعين ومتفرقين (وان خرمتهم) وفاة ان يسند النظر على هذا الوقف ويفوضه ويوصى به لمن يختاره فان لم يفعل ذلك

١٧٤ — او فعل ذلك وتعذر من جعل له ذلك بوجه من وجوه التعذرات الشرعية كان النظر على ذلك والولاية عليه لمن يكون امير دوادار كبير بالديار المصرية

١٧٥ — حين ذلك ثم من بعده لمن يكون بعده فى وظيفته وهلم جرا وكلما عاد امكان النظر إلى من تعذر اليه النظر عاد إليه النظر وقدم على غيره يجرى الحال فى ذلك كذلك

١٧٦ — وجوداً وعدماً وتعذراً وامكاناً الى ان يرث الله تعالى جل ذكره الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وشرط الواقف المشار اليه اعلاه لنفسه ان يزيد فى

١٧٧ — مصارف وقفه المذكور اعلاه المتعلق بجماعة الفقرا

= بذلك وينسب اليه / وقفاً صحيحاً شرعياً / على حكم وقفه / لما وقفه من اراضى ناحية / صند لاالمذكورة فيه وهو / الثمانية حصص والسبعة قراريط / والثلث قيراط من حصة من اصل / اربعة عشر حصة المعين ذلك فى مكتوب / الوقف المسطر قرينه بحيث يكون ذلك / ملحقاً بالحصص التى هى بناحية صندلا / المذكورة اعلاه المعين وقفها قرينه / على ما نص وشرح فى وقف ذلك قرينه / فى الحال والمال والتعذر والامكان / الاستحقاق والتنظر والشروط السابقة / بحيث لا يخرج عن حكم ذلك ولا يعدل / عن رسمه ويكون حكمه كحكمه / فى ساير احواله ووقع الإشهاد عليه بذلك / وبالتوكيل بثبوت ذلك والدعوى به / وطلب الحكم به وابدا الدافع ونفيه التوكيل الشرعى / وتم ذلك فى التاسع من شهر ربيع الاخر / سنة خمس وثمانين وثمان ميه /

اشهد عليه اعز الله تعالى أنصاره بذلك وكتبه أبو بكر بن أحمد الزعيفرينى	اشهد عليه اعز الله أنصاره بذلك وكتبه محمد بن محمد الأسيوطى

المجاورين بالجامع الأزهر وشروطه ما يرى زيادته وينقص طيرى تنقيصه وبغير ما يرى تغييره ويرتب ما

١٧٨ — يرى ترتيبه ويدخل من شا فيه ويخرج من شا منه ويشترط من الشروط المخالفة لذلك ما يرى اشتراطه يفعل ذلك كلما بدا له وليس لغيره ان

١٧٩ — يفعل كفعله وشرط الواقف المشار اليه اعلاه لنفسه ان يستبدل جميع اوقافه المعينة أعلاه وماشا منها بما يكون بدلا عن ذلك ويوقف

١٨٠ — الماخوذ بدلا عن ذلك على حكم الوقف المستبدل من الاوقاف المذكورة اعلاه فى ساير احواله فى الحال والمـــال والتعذر والامكان والاستحقاق والنظر والشروط

١٨١ — يفعل ذلك كلما بدا له وليس لغيره ان يستبدل ذلك ولا شيا منه فان خالف غيره ذلك واستبدل شيا من ذلك او قصد ذلك أو تحيل فيه بطريق (من) * الطرق

١٨٢ — فان كان ناظراً كان معزولا من النظر على ذلك قبل ذلك بشهر او مستحقاً كان ممنوعاً من الاستحقاق من ذلك قبل تعاطيه ذلك بشهر فقد ختم ذلك وتم ونفذ

١٨٣ — حكمه وانبرم وصار وقفاً محرماً بحرمات الله الأكيدة مدفوعاً عنه بقوته الشديدة فلا يحل لاحد يومن بالله واليوم الاخر

١٨٤ — ويعلم انه الى ربه الكريم صاير ان يغير هذا الوقف ولا شيا منه ولا يبطله ولا شيا منه ولا يسعى فى ابطاله ولا فى ابطال شى منه

١٨٥ — فمن فعل ذلك او اعان عليه فالله تعالى حسيبه وطليبه ومواخذه بفعله مجازيه بعمله يوم التناد يوم عطش الاكباد

---

* عن نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج .

١٨٦ — يوم القيامة يوم الحسرة و الندامة يوم يقصم الله الفجار يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار

١٨٧ — ومن اعان على اثباته وتقريره فى ايدى مستحقيه برد الله تعالى مضجعه واكرم مابه ومرجعه ولقنه حجته وبلغه فى الدارين امنيته

١٨٨ — وجعله من الفايزين الامنين الفرحين المستبشرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأشهد الواقف المشار اليه اعلاه انه رفع عن ذلك يد ملكه ووضع

١٨٩ — على ما هو تحت نظره من ذلك يد ولايته ونظره وانه عارف بذلك المعرفة الشرعية وانه رجع عما يخالف ذلك عما شرطه فى اوقافه القديمة السابقة على تاريخه

١٩٠ — الجامعة للوقف السابق على تاريخه المعين اعلاه وانه استقر رايه الآن فى ذلك نظراً واستحقاقاً وشروطاً على ما شرح باعاليه فى هذا المكتوب دون غيره من المكاتيب

١٩١ — السابقة على تاريخه وقبل الجناب العالى الأميرى السيفى تغرى بردى الخازندار والجناب العالى الأميرى الكبيرى السيفى قانصوه الدوادار

١٩٢ — من السادة النظار المشار إليهم اعلاه ما شرط لهما من النظر المعين اعلاه على ما نص وشرح اعلاه القبول الشرعى ووقع الاشهاد

١٩٣ — بذلك وبالتوكيل فى ثبوته والدعوى به وطلب الحكم به وابدا الدافع ونفيه التوكيل الشرعى وتم ذلك فى التاسع من شهر ربيع الاخر سنة خمس

١٩٤ — وثمانين وثمان مايه وفيه ملحق بين اسطره المخدومى وهو بذلك وفيه مكتوب ومصلح على كشط ولغيره والعلم الغربى رقيبين مقام صحيح ذلك فى موضعه (وحسبنا الله ونعم الوكيل) * .

* عن نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج .

١٩٥ ـ اشهد على مولانا المقر الاشرف العالى	اشهد على مولانا المقر الاشرف العالى
١٩٦ ـ المولوى الاميرى الكبير السيفى يشبك	المولوى الاميرى الكبير السيفى يشبك
١٩٧ ـ امير سلاح وهو الامير الدوادار	امير سلاح وهو الامير الدوادار الكبير الملكى
١٩٨ ـ الكبير الملكى الاشرفى الواقف المشار اليه	الأشرفى الواقف المشار اليه اعلاه اعز الله تعالى
١٩٩ ـ اعلاه اعزه الله تعالى انصاره وجعل التقوى	انصاره وجعل التقوى شعاره وخازنداره
٢٠٠ ـ شعاره وخازنداره الجناب العالى	الجناب العالى الاميرى السيفى تغرى بردى
٢٠١ ـ الاميرى السيفى تغرى بردى ودواداره	ودواداره الجناب العالى الكبير
٢٠٢ ـ الجناب العالى الاميرى السيفى قانصوه المشار اليهما	السيفى قانصوه المشار اليه اعلاه اعزهما الله تعالى
٢٠٣ ـ اعلاه اعزهما الله تعالى بما نسب اليهم اعلاه	بما نسب اليهم اعلاه وبصحة المعتذر عنه المعين
٢٠٤ ـ وبصحة المعتذر عنه المعين اعلاه على ما شرح فيه وكتبه	اعلاه على ما شرح فيه وكتبه
٢٠٥ ـ محمد بن محمد بن الركن الاسيوطى	ابو بكر بن احمد الزعيفرينى

٢٠٦ ـ اخبر انى بذلك بالصيغه المعتبرة ايدهما الله تعالى

ظهر الوثيقة

(. . . .)

١ — من شهور عام خمسة وثمانين وثمان ميه انه ثبت عنده وصح (لديه احسن الله تعالى اليه)

٢ — على الوضع المعتبر الشرعى بشهاده من اعلم له تلو رسم شهادته آخر مكتوب (الوقف)

٣ — المسطر باطنه اعلام التادية والقبول على الرسم (المعهود فى) مثله اشهاد المقر الاشرفى العالى

٤ — المولوى الاميرى الكبير الغوثى الغياثى الليثى الهمامى الكهفى الملاذى الممهدى المشيدى السندى

٥ — المالكى المخدومى السيفى يشبك امير سلاح وهو الامير الدوادار بالديار المصرية الملكى الاشرفى

٦ — الواقف المشار اليه بمكتوب الوقف المسطر باطنه اعز الله تعالى انصاره وجعل التقوى شعاره وخازنداره الجناب

٧ — العالى الاميرى الكبير السيفى تغرى بردى ودواداره الجناب العالى الاميرى الكبيرى السيفى قانصوه

٨ — القابلين للنظر المذكور باطنه وهما المشار اليهما باطنه اعزهما الله تعالى على انفسهم بجميع ما نسب اليهم فى مكتوب

٩ — الوقف المسطر باطنه على ما نص وشرح باطنه وصحة المعتذر عنه المعين بذيله باطنه على ما نص باطنه وباطنه مورخ

١٠ – بالتاسع من شهر تاريخه المعين اعلاه وثبت عنده ثبت الله تعالى مجده وانجح قصده بشهادة من اعلم له تلو رسم شهادته

١١ – اخر فصل الملك والحيازه المسطر بها مش باطنه اعلام التأدية والقبول على الرسم المعهود فى مثله مضمون

١٢ – الفصل المذكور على ما نص وشرح فيه ثبت عنده اعذار مولانا المقر الاشرف الامير الدوادار الواقف المشار اليه

١٣ – باطنه اعز الله تعالى انصاره من ذلك فى مجلس حكمه بصريح لفظه بطريقه الشرعى ثبوتاً صحيحاً شرعياً تاما معتبرا مرضيا

١٤ – وحكم اعز الله تعالى احكامه واحسن اليه بموجب ذلك وبصحة الوقف المسطر باطنه

١٥ – الصادر فى تاريخه باطنه وهو التاريخ المنبه عليه اعلاه ولزومه حكما صحيحا شرعيا تاما معتبرا مرضيا مسيولا فى ذلك

١٦ – مستوفيا شرايطه الشرعية عالما باختلاف العلما رضى الله عنهم اجمعين فيما فيه الخلاف من ذلك وذلك بعد ان اتصل به أوصل الله الخيرات على يديه

١٧ – شروط الواقف المشار اليه اعلاه اعز الله تعالى انصاره المشروحه باطنه التى فى كتب اوقافه السابقة على تاريخه المعين تواريخها (*) باطنه المسوغة

١٨ – له من اوقافه المذكوره فعل ما عين باطنه وهو ما استقر عليه رايه فى ذلك اخيرا على ما نص وشرحه باطنه الاتصال الشرعى بالبينه الشرعية واشهد على

١٩ – نفسه الكريمه بذلك وبما نسب اليه فى اسجاله الحكمى

---

* عن نسخة الأوقاف رقم ٦٦ ج .

المعين باطنه على ما نص وشرح فيه فى التاريخ الذى سيكمل بخطه الكريم اعلاه ادام الله تعالى رفعته وعلاه

٢٠ — **وحسننا الله ونعم الوكيل** اشهدنى سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى

٢١ — الشيخ صدر الدين شرف العلما اوحد الفضلا مفتى المسلمين الحاكم المشار اليه اعلاه اعز الله تعالى احكامه واحسن اليه على نفسه الكريمة بما نسب اليه فى اسجاله

٢٢ — المسطر اعلاه فشهدت عليه به فى تاريخه وكتب

٢٣ — محمد بن محمد بن الركن الأسيوطى

٢٤ — وبذلك اشهدنى اعز الله تعالى احكامه واحسن اليه فشهدت عليه به فى تاريخه وكتب

٢٥ — محمد بن على العسقلانى المحلى

٢٦ — وبذلك اشهدنى ايدا لله تعالى احكامه واحسن اليه فشهدت عليه به وكتب

٢٧ — محمد بن محمد المرجى

٢٨ — وبذلك اشهدنى اعز الله تعالى احكامه واحسن اليه فشهدت عليه به فى تاريخه وكتب

٢٩ — ابو بكر بن احمد الزعيفرينى

٣٠ — وبذلك اشهدنى اعز الله تعالى احكامه واحسن اليه فشهدت عليه به فى تاريخه وكتب

٣١ — محمد بن احمد الابيارى

٣٢ — وبذلك اشهدنى اعز الله تعالى احكامه واحسن اليه فشهدت عليه بذلك فى تاريخه وكتب

٣٣ ـ محمد بن محمد محمد بن الأسيوطى

٣٤ ـ وبذلك اشهدنى اعز الله تعالى احكامه واحسن اليه فشهدت عليه به فى تاريخه وكتب

٣٥ ـ محمد بن على المالكى (السبكى)

٣٦ ـ وبذلك اشهدنى والدى ايد الله تعالى احكامه واحسن اليه فشهدت عليه به فى تاريخه وكتب

٣٧ ـ محمد بن محمد بن محمد الرومى

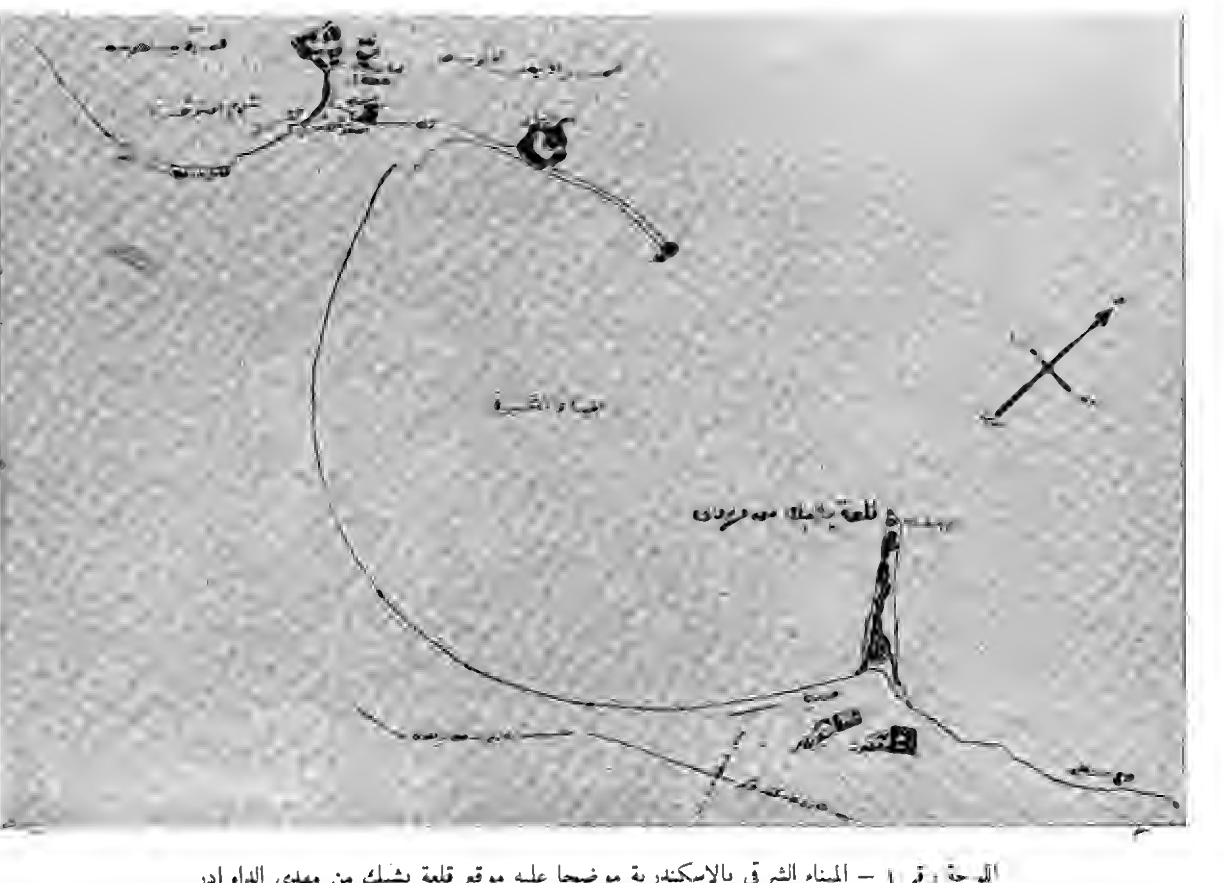
٣٨ ـ وبذلك اشهدنى ايد الله تعالى احكامه واحسن اليه فشهدت عليه به فى تاريخه وكتب

٣٩ ـ عبد القادر بن محمد الرومى

٤٠ ـ وبذلك اشهدنى ايد الله تعالى احكامه واحسن اليه فشهدت عليه به فى تاريخه وكتب

٤١ ـ عبد القادر بن احمد الدنجاوى

اللوحات



اللوحة رقم ١ – الميناء الشرق بالاسكندرية موضحا عليه موقع قلعة يشبك من مهدى الداوادر (قلعة السلسلة) فى مواجهة قلعة السلطان قايتباى .



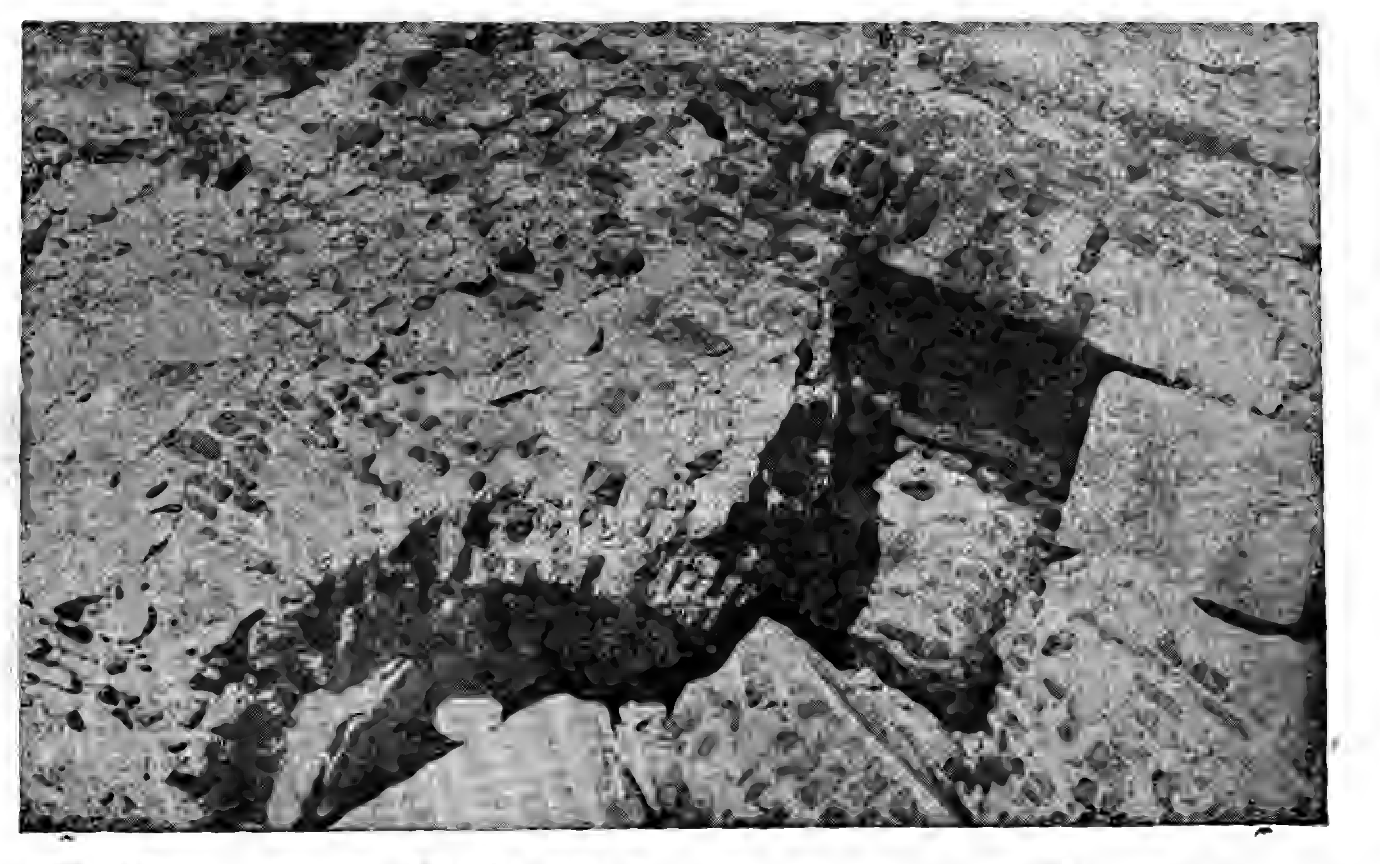
اللوحة رقم ٢ – جانب من البرج المربع من بقايا قلعة الأمير يشبك (صورت فى سنة ١٩٥٨)



اللوحة رقم ٣ – جانب آخر من بقايا البرج ، ويلاحظ أن معظم الأحجار مفككة وفى طريقها للانهيار والضياع .



اللوحة رقم ٤ – صورة لجانب أحد أبراج قلعة الأمير يشبك ، وهو البرج الوحيد المتبقى منها.



اللوحة رقم ٥ :ـ صورة لبقايا أحد الحواصل العلوية بالقلعة ، وهو حاصل مقبي مبني بدماميك من الطوب الأحمر المرتكز على حوائطها من الدبش والدقشوم



اللوحة رقم ٦ – صورة لكاتب البحث على الصخور فى طرف السلسلة بجوار بقايا القلعة المتهدمة .
ويلاحظ فيها ضخامة حجم أحجار البناء .



اللوحة رقم ٧ – جزء من وجه وثيقة وقف الأمير يشبك جاء فيها ذكر لبعض أوقافه في منية أحفا بالمنوفية وناحية ماكوسة بالأشمونين .



اللوحة رقم ٨ – جزء من الوثيقة ورد فيه ذكر المصارف .



اللوحة رقم ٩ – جزء من الوثيقة جاء فيه ذكر جامكية أجناد العدة بالبرج والتغطية البارودية



اللوحة رقم ١٠ – جزء من الوثيقة جاء فيه ذكر جامكية ياش أجناد العدة والحراس والإمام بالبرج



اللوحة رقم ١١ — جزء من الوثيقة جاء فيه ذكر جامكية البواب والسقا وثمن الزيت والخبز .

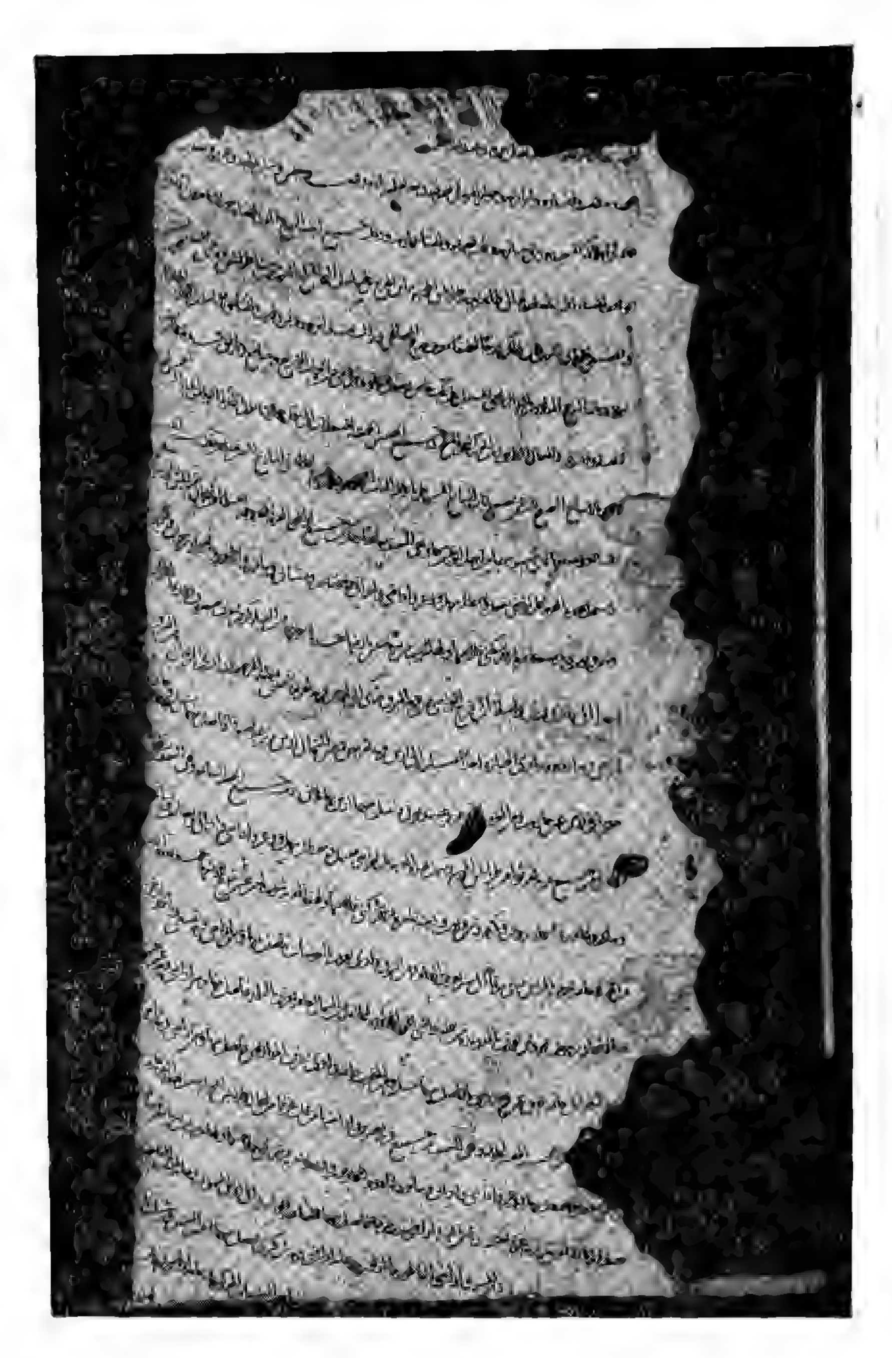
اللوحة رقم ١٢ – جزء من الوثيقة جاء فيه ذكر جامكية مصارف الوقف المتعلق بالفقراء المجاورين بالجامع الأزهر



اللوحة رقم ١٣ – جزء من الوثيقة جاء فيه ذكر شرط الناظر على الوقف .



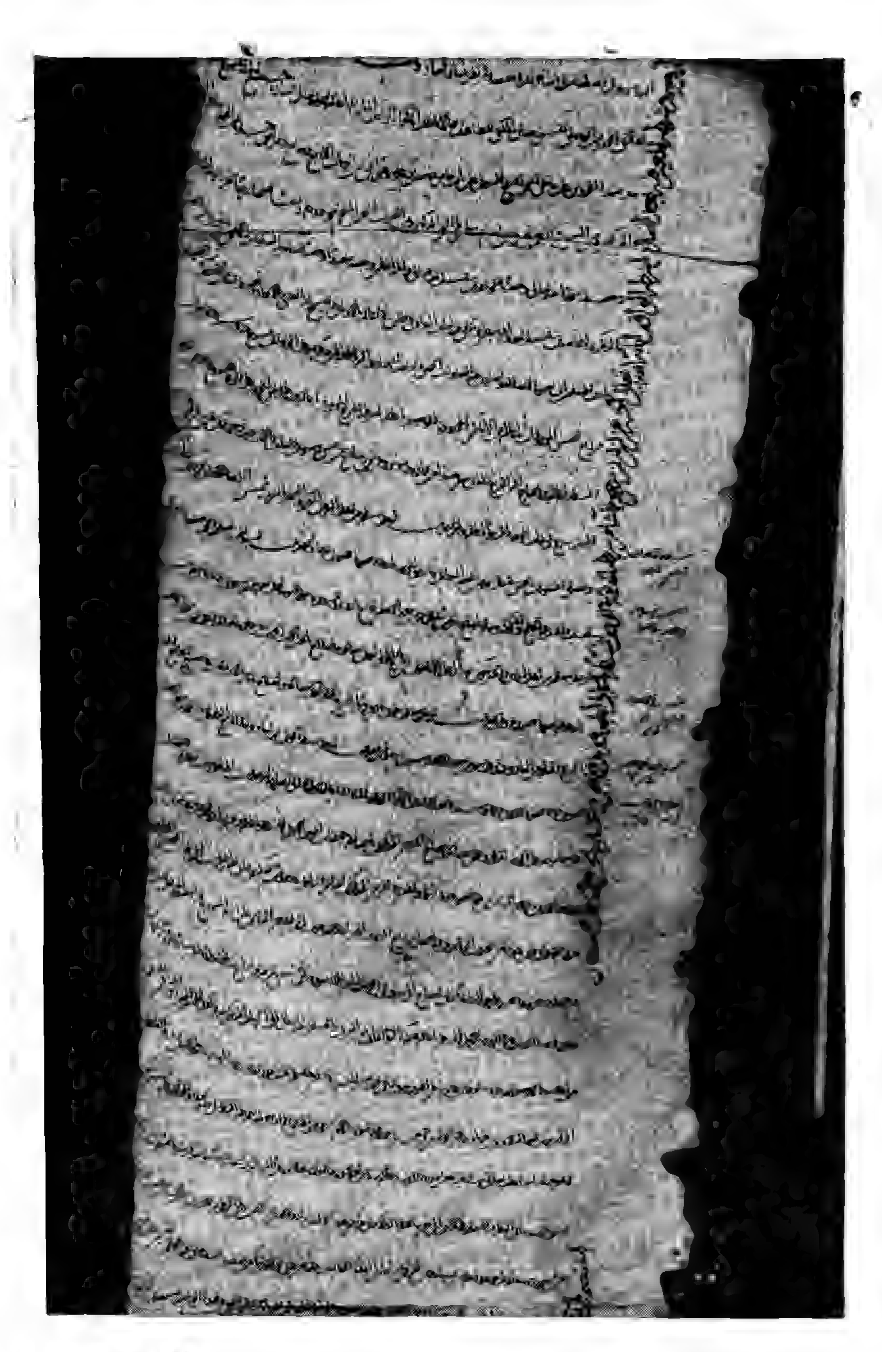
اللوحة رقم ١٤ – ختام وثيقة وقف الأمير يشبك ويظهر فيها التاريخ (التاسع من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثمانمائة) وخط الشاهدين .



اللوحة رقم ١٥ – جزء من وثيقة وقف السيفى جلبان – ورد فيه ذكر البرج الذى أنشأه فى ظاهر مدينة طرابلس على ساحل البحر بالقرب من برجى السيفى اينتمش والسيفى طراباى .



اللوحة رقم ١٦ – جزء من وثيقة السيفي جلبان ورد فيه ذكر أرباب الوظائف في البرج الذي أنشأه في ظاهر مدينة طرابلس .



اللوحة رقم ١٧ – جزء من وثيقة السيفى جلبان ورد فيه ذكر البرج الذى أنشأه بثغر صيدا على شاطىء البحر وأرباب الوظائف فيه ومرتباتهم .

٢

ثلاث وثائق عثمانية

وهذه ثلاث وثائق تاريخية من العصر العثمانى فى مصر [١] ، ترجع إلى أواخر القرن العاشر الهجرى / النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى ؛ وهى تنص صراحة على تحريم سكنى اليهود ببندر الطور [٢] فى شبه جزيرة سيناء ، بناء على طلب الرهبان والنصارى بدير طور سيناء ، وموافقة بل وتأييد السلطات العثمانية الحاكمة فى مصر .

ولذلك فان هذه الوثائق الثلاث تعتبر — بحق — فريدة فى نوعها وموضوعها ، فضلا عن أهميتها التاريخية القاطعة فى هذا الموضوع .

وهذه الوثائق عبارة عن ثلاثة فرمانات ، صادرة من مدينة مصر على عهد السلطان العثمانى مراد الثالث بن سليم [٣] ؛ وقد صدرت الوثيقتان الأولى والثانية

---

١ — تحتفظ مكتبة دير سانت كاترين فى شبه جزيرة سيناء بمجموعة ضخمة وقيمة من الوثائق العربية ، من بينها فرمانات عثمانية مكتوبة باللغة العربية ويبلغ عددها ٧٥ فرماناً — من رقم ١٢٥—١٩٩ ، هذا بالإضافة إلى مجموعة الوثائق العثمانية المكتوبة باللغة التركية وعددها ٦٧٠ وثيقة .

عبد اللطيف إبراهيم : فى مكتبة دير سانت كاترين — دراسة فى الوثائق العامة (مجلة جامعة أم درمان الإسلامية — العدد الأول) ص ١٦٨ — ١٧٢

٢ — كانت مدينة الطور ميناء صالحاً لرسو السفن التجارية ، وكان بها قلعة للحراسة يشرف عليها دزدار ، وديوان للجمارك لتحصيل الرسوم من القوافل البحرية والتجارية . وكانت ميناء الطور ترتبط بعدة طرق تجارية بكل من جده والفرما والقلزم والقاهرة برياً وبحرياً .

Enc. Isl. art. Tur.

Heyd: Histoire du commerce du levant au moyen age T. II, p. 444.

٣ — حكم فيما بين ٧ رمضان سنة ٩٨٢ هـ إلى ٥ جماد آخر ١٠٠٣ هـ / ١٥٧٤—١٥٩٥ م .

زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى حـ ٢ ص ٢٣٩

إبان حكم خادم حسن [1] الباشا العثمانى فى مصر ، أما الوثيقة الثالثة فقد صدرت أثناء حكم دفتر دار سنان [2] .

والوثائق الثلاث سليمة وفى حالة جيدة [3] ، وهى مكتوبة بالحبر الأسود على الورق ، بخط ديوانى سريع ولكنه مقروء .

الوثيقة الأولى تحمل الرقم ١٤٩ ، وأبعادها ٤٦ × ٢١,٥ سم ، وعدد سطورها ١١ سطرا ، وتاريخها أوائل جمادى الأولى سنة ٩٨٩ هـ .

والوثيقة الثانية تحمل الرقم ١٥١ ، وأبعادها ٥٠ × ٢١ سم ، وعدد سطورها ١٣ سطرا ، وتاريخها ٢٩ صفر سنة ٩٩١ هـ .

أما الوثيقة الثالثة فرقمها ١٦٠ ، وأبعادها ٥٠ × ٢٠,٥ سم ، وعدد سطورها ١٢ سطرا ، وتاريخها ٢٠ ذى الحجة سنة ٩٩٣ هـ .

***

وبالرغم من أن البسملة تعتبر عنصراً أساسياً فى افتتاحية الوثائق العربية ، إلا أننا لا نجدها إلا فى الوثيقة الأولى فقط من هذه الفرمانات الثلاثة ، بينما خلت الوثيقتان الثانية والثالثة منها .

أما المخاطب فى هذه الوثائق العامة أو الفرمانات الثلاثة فهم :

نواب الشرع الشريف (القضاة) ، والشادية ، والدزدارية ، والحكام ، وأصحاب الادراك ، وولاة أمور الأمور بالطور عامة [4] .

وقد صدرت هذه الوثائق الثلاث عن الديوان العالى للباشا العثمانى بقلعة الجبل بمدينة مصر القاهرة ، وتحمل كل منها من علامات الصحة والاثبات — الختم

١ — تولى حكم مصر من جماد أول سنة ٩٨٨ هـ حتى ٢٣ ربيع الثانى ٩٩١ هـ .
زمباور : نفس المرجع والجزء ص ٢٥١

٢ — تولى حكم مصر من شوال ٩٩٣ هـ حتى عزل فى ٢٢ جماد آخر سنة ٩٩٥ هـ . نفس المرجع والجزء السابق ص ٢٥١

٣ — أنظر اللوحات الثلاث فى نهاية البحث .

٤ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٢—٣ ، الفرمان رقم ١٥١ سطر ١—٣ ، الفرمان رقم ١٦٠ سطر ١—٢

والطغراء فى أعلى الهامش الأيمن ، فضلا عن التاريخ الزمانى والمكانى فى نهاية كل منها [١] .

وقد تضمنت كل وثيقة منها فحوى القصة التى رفعها الرهبان والنصارى بطور سيناء ، سواء حضروا وتمثلوا بالديوان [٢] أو أنهوا للمسئولين [٣] يشكوا هم مشافهة من سكنى اليهود بمنطقة سيناء وبندر الطور ، وطالبوا فيها بمنع اليهود من ذلك لأسباب كثيرة منها :

١ — أن جبلهم جبل مبارك [٤] .

٢ — ليس لليهود — كما جرت العادة من قديم الزمان — أن يسكنوا فى بندر الطور مطلقا [٥] .

٣ — أن تحت أيديهم أمراً شريفاً سلطانياً وأحكاما خنكارية سابقة تؤكد منع اليهود من ذلك [٦] .

٤ — أن اليهود يتوجهون لمنطقة سيناء وبندر الطور فى جماعات كثيرة بقصد إيقاع الفتن [٧] .

٥ — أن اليهود صاروا يسكنون أو يستوطنون فى بندر الطور ، ويقيمون بنسائهم وعيالهم وأولادهم ويحصل منهم غاية الضرر [٨] .

٦ — دأب اليهود على مخالفة الشرع والعادة والقانون ، والقواعد القديمة المتبعة [٩] ومنها أنه إذا كانت لهم حاجة ضرورية فيتوجه منهم نفر أو نفران لقضاء هذه الحاجة والعودة فوراً [١٠] .

***

١ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٩–١١ ، الفرمان رقم ١٥١ سطر ١٣ ، الفرمان رقم ١٦٠ سطر ١٠–١٢

٢ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٤

٣ — الفرمان رقم ١٥١ سطر ٣ ، الفرمان رقم ١٦٠ سطر ٣

٤ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٤

٥ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٥ ، الفرمان رقم ١٥١ سطر ٤ ، الفرمان رقم ١٦٠ سطر ٣–٤

٦ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٥–٦ ، الفرمان رقم ١٦٠ سطر ٦ ، الفرمان رقم ١٥٧

٧ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٧ ، الفرمان رقم ١٥١ سطر ٧–٨

٨ — الفرمان رقم ١٥١ سطر ٥–٦ ، الفرمان رقم ١٦٠ سطر ٥

٩ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٧ ، الفرمان رقم ١٥١ سطر ٩–١٠

١٠ — الفرمان رقم ١٥١ سطر ٦–٧ ، الفرمان رقم ١٦٠ سطر ٤–٥

وقد استجابت السلطات العثمانية الإسلامية الحاكمة لمطالب رهبان دير سانت كاترين ، وصدرت الأوامر مشددة لأرباب الوظائف المختلفة بالطور ، بعودة إبراهام اليهودى وزوجته وأولاده للديار المصرية [1] ، كما نبه عليهم بالوقوف على الأمر الشريف السلطانى — السابق صدوره للرهبان فى هذا الصدد [2] — واعتماد مضمونه والعمل به وعدم العدول عنه [3] ، فيما عدا عامل البندر الملتزم به [4] ، وأما غيره من اليهود فيمنعون من السكنى فى سيناء وبندر الطور كل المنع ، ولا يمكنون من الإقامة به إجراء فى ذلك على العادة ، ومنعهم من التعدى بما يخالف الشرع والقانون [5] .

وقد تشددت بعض الفرمانات فى طلب تنفيذ الأوامر الصادرة ، إلى المخاطبين من المسئولين بالطور بقولها : « ولا يتأخروا يوماً واحداً [6] » أو « فليعتمد ذلك قولا واحداً [7] » .

***

ومما لا شك فيه أن هذه الوثائق العامة أو الفرامانات العثمانية ، تدلنا على أن أطماع اليهود فى شبه جزيرة سيناء أطماع قديمة — رفضتها السلطنة العثمانية عند بداية حكمها لمصر وقرب نهايته أيام السلطان عبد الحميد — ولذلك عملت السلطات العثمانية الحاكمة فى مصر منذ زمان بعيد ، على تحريم توجههم إليها أو سكناهم فيها ، لأن وجودهم بها كان يقلق رهبان الدير ، لما يحصل منهم من أضرار ؛ كما كان توافد اليهود على بند الطور فى سيناء بأعداد كبيرة يفزع السلطات العثمانية

١ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٨—٩

٢ — الفرمان رقم ١٥٧ ، ١٥٩

٣ — الفرمان رقم ١٥١ سطر ١١ ، الفرمان رقم ١٦٠ سطر ٦—٧

٤ — الفرمان رقم ١٦٠ سطر ٧—٨ ، ومن المعروف أن أهل الذمة فى مصر كانوا غالباً موضع رعاية السلطات الإسلامية الحاكمة ، وقد جرى استخدام النصارى بل واليهود فى عدد من دواوين الدولة فى بعض الأعمال الإدارية والمالية .

عبد اللطيف إبراهيم : فى مكتبة دير سانت كاترين — دراسة فى الوثائق العامة ص ٢٠٥

٥ — الفرمان رقم ١٥١ سطر ١٠—١٢ ، الفرمان رقم ١٦٠ سطر ٨—٩

٦ — الفرمان رقم ١٤٩ سطر ٨—٩

٧ — الفرمان رقم ١٦٠ سطر ٩

الحاكمة ، خشية استيطانهم بها أو بمعنى آخر صريح استعمارهم لها ،وبسبب ما يقومون به من إيقاع للفتن والقلاقل والتحريض عليها فى كل مكان يحلون به ، حيث أن اليهود قد درجوا طوال حياتهم على ذلك – منذ قديم الزمان وإلى الآن – مع كتمان خططهم وإحاطتها بالسرية التامة لأنهم أهل خبث ودهاء وخداع .

***

ومن المعروف أن بعض العربان الذين عاشوا فى شبه جزيرة سيناء ومنطقة الطور ، كانوا يغيرون أحياناً على الدير ورهبانه ، ويقومون بالسلب والنهب من حوله وبساتينه ، ويهاجمون قوافل الزوار وينهبونها من أجل لقمة العيش .

ومما لا شك فيه أن العوامل الطبيعية والمناخية قد أسهمت بنصيب كبير ، فى قيام المنازعات بين الرهبان والعربان ، الذين يعتمدون فى حياتهم على مياه الأمطار والآبار فى الوديان الخصبة والضيقة المساحة التى يمتلكها رهبان الدير ، مثل وادى الأربعين ووادى فيران وغيرهما[1] .

والحقيقة أن أسباب شكوى رهبان دير سانت كاترين كثيرة ومتعددة [2] – سواء ما ورد منها فى القصص التى وصلتنا على قلتها ، أو مضمنة فى المراسيم والفرامانات العثمانية ؛ مثل التشويش على الرهبان ومضايقتهم والإضرار بهم ، والاعتداء عليهم بالضرب أو القتل أحياناً ، والهجوم على الدير ومحاولة حرق أو فتح أحد أبوابه المسدودة [3] ، أو هدم جزء من سوره الحصين ، والإغارة على مزارعهم وبساتينهم ، وعدم دفع أجرة أملاكهم وبيوتهم وأوقافهم ، ومطالبة الرهبان برعايتهم وحمايتهم من المضايقات التى كانوا يتعرضون لها من العربان القاطنين حول الدير ، ومنهم عرب العوارمة وبنى سليمان وأولاد على وأولاد سعيد الذين كانوا يعتدون عليهم وعلى ديرهم ، وبساتينهم وينهبون ما فيها [4] ،

---

١ – عبد اللطيف ابراهيم : فى مكتبة دير سانت كاترين – دراسة فى الوثائق العامة ص ١٥٨ ، الفرمان رقم ٩١ ، ١٢٦ ، ١٥٩ ، ١٦٨

٢ – بحثنا السابق ص ١٨٨ – ١٨٩ ، الفرمانات رقم ١٠٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٥٧

٣ – الفرمان رقم ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٤٨

٤ – الفرمان رقم ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧

أو بالحفاظ على ممتلكات الدير وأوقافه[1] ، أو بخصوص الإعفاء من المغارم والرسوم والأحكار والمقاسمات – على كرومهم ونخيلهم وحقولهم بالطور وفاران – والحقوق الديوانية والرسوم الجمركية ، وحماية قصادهم وزوارهم من النهب والسلب وغير ذلك[2] .

***

ومهما يكن من شيء ، فقد دأب الرهبان بدير سانت كاترين على رفع قصصهم التي دونت فيها مظالمهم ، وأسباب شكواهم للمسئولين فى بندر الطور ، أو بالحضور أحياناً إلى القاهرة لديوان الباشا العثمانى فى قلعة الجبل ؛ وعلى حدما جاء فى بعض الفرمانات « حضروا وتمثلوا لدى مواقفنا العالية[3] » أو « تمثلوا بالحضرة العالية »[4] أو « تمثلوا بالديوان »[5] .

وكان الرهبان والنصارى يذكرون فى قصصهم ، أن تحت أيديهم عهوداً نبوية وسجلات ومناشير ومراسيم شريفة من الملوك السابقة ، من أيام الخنكار الأعظم سليم خان وابنه سليمان خان[6] ، ومن حكام الديار المصرية والنواب بها ، وأنهم يحتفظون بها فى ديرهم بسانت كاترين ، وتحت أيديهم كمستندات شرعية رسمية – مستمر حكمها إلى آخر وقت – لتأييد وجهة نظرهم عند عرض مطالبهم فى قصصهم ، ولتأكيد حقوقهم وتثبيت ما لهم من امتيازات وحقوق متوارثة[7]

---

١ – الفرمان رقم ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥

٢ – الفرمان رقم ٩١ ، ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨

٣ ، ٤ – الفرمان رقم ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٥٩ ، ١٦٨

٥ – الفرمان رقم ١٤٢ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٥

٦ – الفرمان رقم ٩١ ، ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨

٧ – بحثنا السابق ص ١٧٦ ، الفرمان رقم ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٨

والواقع أن هذه القصص التى رفعها الرهبان وأساقفتهم أو رؤساء ديرهم ، كانت موضع عناية واهتمام السلطات المسئولة فى بندر الطور على اختلاف اختصاصاتها أو الباشا العثمانى فى مدينة مصر القاهرة ؛ وهذا أمر تكشف عنه بوضوح أغلب الوثائق أو الفرامانات التى ترجع إلى العصر العثمانى ، وهى وثائق عامة رسمية صادرة عن ديوان الباشا العثمانى ، وتؤكد لنا عطف الحكام أو الولاة فى مصر العثمانية على الرهبان والنصارى ، والعمل على تأمين حياتهم ورعايتهم ، وإجابة مطالبهم ، ومنها ألا يعارضهم أحد من الحكام فى حوشهم (كذا) ولا بيوتهم وبخشاتهم بالطور ، وأن لا ينزل بها أحد بالقوة بل برضاهم — ولا يخربها — مع القيام بدفع الأجرة [1] ، وأن لا يدخل العربان فى ديورتهم ، وأن يعاملوا بالعدل والإحسان فى الإقامة والذهاب والإياب لأنهم أهل ذمة وكتاب ، مع الوصية التامة بهم ، وكف الأذى والضرر عنهم وعن ديورتهم [2] .

ومهما يكن من أمر ، فان بعض المراسيم والفرامانات العثمانية تهدد من تسول له نفسه التعرض للرهبان بأذية أو بضرر ؛ أو الإعتداء عليهم كما فعل الشيخ أبو بكر الذى ضرب الرهبان بحضرة أكابر بندر الطور [3] ؛ أو الإعتداء على ديرهم مثل محاولة فتح باب مسدود بالدير من قديم الزمان ، ولأن فى فتحه ضرر على الرهبان ، لأن العربان وغيرهم يتطرقون منه إلى داخل الدير [4] ؛ أو التهجم على مزارعهم وحقولهم ، وأخذ ثمر نخيلهم ، ونهب محصولات غيطانهم [5] ، ودهك ثمار بساتينهم ، أو مهاجمة قوافلهم وزوارهم ، كل ذلك من أجل توفير الأمن والسلام للرهبان فى تلك البقعة الغالية من أرض مصر .

***

---

١ — الفرمان رقم ٩١ ، ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٩ ، ١٦٨ .

٢ — بحثنا السابق ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ، الفرمان رقم ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٥

٣ — الفرمان رقم ٩١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ .

٤ — الفرمان رقم ٩١ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨

٥ — الفرمان رقم ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨

والحقيقة أن هذه الفرامانات الثلاثة الصادرة عن ديوان الباشا العثمانى بقلعة الجبل فى مدينة مصر ، تؤكد الحقائق التالية :

أولا : اهتمام الدولة العثمانية والباشا العثمانى فى مصر ، بتوفير أسباب الراحة لهؤلاء الرهبان والنصارى فى ديرهم ، وفى منطقة الطور بشبه جزيرة سيناء ؛ ورعايتهم وتأمينهم على أرواحهم وأملاكهم وأوقافهم .

ثانياً : وجود علاقات طيبة بين الرهبان فى دير سانت كاترين والسلطات العثمانية الحاكمة ، بدليل إجابة مطالبهم الخاصة بابعاد اليهود عن بندر الطور بسيناء ، والأمر بعدم توجههم إليها أو استيطانهم فيها .

ثالثاً : دأب اليهود على الإخلال بالأمن والاستهتار بقوانين الدولة ، ومخالفة العادة المتبعة فى مصر العثمانية أواخر القرن ١٠ هـ / ١٦ م ، بدليل صدور أكثر من فرمان بالنهى عن سكناهم فى بندر الطور بسيناء فى كل من جماد الأول سنة ٩٨٩ هـ ، ٢٩ صفر سنة ٩٩١ هـ ، ٢٠ ذى القعدة سنة ٩٩٣ هـ[1] .

رابعاً : أن هدف اليهود من وراء التوجه جماعات ، أو الهجرة بكثرة للسكنى ببندر الطور فى شبه جزيرة سيناء بنسائهم وعيالهم وأولادهم ، إنما هو استيطان أو استعمار هذه البقعة الهامة من الأراضى المصرية .

خامساً : إشعار اليهود بقوة الدولة العثمانية ويقظتها لأغراضهم العدوانية وأهدافهم المخربة ، وحرص الباشا العثمانى على حفظ الأمن واستقراره فى كل بقعة من الأراضى المصرية ، والضرب على أيدى اليهود الخارجين على النظام والقانون والشرع ، وسياسة الدولة العثمانية ، وأوامر الباشوات من ولاة مصر .

سادساً : لفت نظر أرباب الوظائف المختلفة والمسئولين فى الطور — وهم نواب الشرع الشريف (القضاة) والشادية والدزدارية والحكام وأصحاب الإدارك

١ – الفرمانات رقم ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٠ على التوالى .

وولاة أمور الإسلام (١) – إلى الإهتمام بالرهبان وحمايتهم ، والأمر بعودة اليهود من بندر الطور ، ومنعهم – كل المنع – من التوجه إليه أو السكن فيه .

***

وبعد ، فان هذه الوثائق التاريخية القومية المنشورة فى هذا البحث ، تسهم فى الإفصاح عن الدور الكبير الذى قامت به مصر العربية ، فى سبيل الدفاع عن موانيها ومدنها وأراضيها فى كل من الإسكندرية والطور وسيناء ، ضد أعدائها من الصليبيين واليهود فى العصرين الوسيط والعثمانى ، ولا زالت تقوم به حتى اليوم ضد الإستعمار والصهيونية .

---

١ – الفرمانات رقم ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨

الوثيقة رقم ١٤٩

(طغراء)

١ بسم الله الرحمن الرحيم

(ختم) +

٢ فخر النواب ومجرى الحق بالصواب نايب الشرع بالطور

٣ ومفخر الاماثل الدزدار والحكام وولاة الأمور يتضمن اعلامهم ان جماعة

٤ الرهبان بجبل طور سينا تمثلوا بالديوان وانهوا ان جبلهم جبل مبارك

٥ وليس له عادة بسكنا * اليهود فيه بالبندر وابرزوا من ايديهم احكام * شريفة

٦ بمعنى ذلك وان شخصا الآن يسمى ++ ابراهام اليهودى توجه للطور

٧ بنسايه واولاده بقصد ايقاع الفتن وبغير العوايد القديمة فرسمنا

٨ بان يتقدموا بعود اليهودى وزوجته واولاده للديار المصرية ولايتاخروا

٩ يوما واحدا فليعتمد تحريرا فى اوايل شهر جمادى الأول سنة تسعة * وثمانين (وتسعمائه)**

١٠ بمدينة

١١ مصر

امتثل بالسمع والطاعة وعمل بمضمونه فى ٢٥ جماد أول سنة ٩٨٩

+ هذا ختم مستدير ، ولكنه غير مقروء .

* كذا فى الأصل ، ولا يخفى على القارىء الخطأ اللغوى النحوى مما يوضح حال اللغة فى ذلك العصر .

++ هذا اللفظ مطموس بالحبر فى الأصل .

** ما بين الحاصرتين أضافه الناشر .

الوثيقة رقم ١٥١

(طغراء)

١ مفخر النواب مجرى الحق بالصواب نايب الشرع بالطور ومفخر الاماثل (ختم) +

٢ والاقران الشاد بالطور ومفخر الثقاة والمستحفظين الدزدار والحكام واصحاب

٣ الادراك وولاة امور الاسلام يتضمن اعلامهم ان رهبان دير طور سينا انهوا الينا ان

٤ بندر الطور ليس لليهود عادة ان يسكنوا فيه مطلقا وانهم صاروا الان يحتجوا *

٥ تارة بالفصل وتارة بغيره ويقيموا * فى البندر بعيالهم واولادهم ويحصل منهم

٦ غاية الضرر لمحل مناجات* السيد موسى وعادتهم اذا كانوا فى مصلحة يتوجه يهودى

٧ واحد يتعاطى المصلحة ويعود والان خالفوا ذلك وصاروا يتوجهوا * جماعة

٨ ومنهم جماعة سكنوا واستوطنوا بالطور بغير عادة سابقة وبرز الامر المطاع السلطانى

٩ بانه حيث لم تجر عادة لليهود بالاقامة فى الطور من قديم الزمان والان صاروا يتوجهوا *

١٠ للطور ويخالفوا * الشرع والعادة والقانون فيمنعوا * اليهود من ذلك كل المنع

١١ فيتقدموا بالوقوف على الامر الشريف السلطانى والعمل به وعدم العدول عنه ومنع اليهود

١٢ من التعدى بما يخالف الشرع والقانون ولا يقيموا فى الطور ولا يخالفوا العادة فى ذلك تحريرا فى

١٣ تاسع عشرين شهر صفر سنة احدى وتسعين وتسعمائه بمدينة مصر

امتثلوا بالاوامر العالية وقابلوها بالسمع والطاعة

+ ختم مستدير غير مقروء

* كذا فى الأصل ، وهى أخطاء لغوية تدل على ضعف الكاتب فى اللغة والرسم الاملائى للكلمات .

الوثيقة رقم ١٦٠

١ مفخر النواب مجرى الحق بالصواب نايب الشرع الشريف بالطور ومفخرى
(ختم) +

(طغراء)

٢ الأماثل والاقران الشادية والحكام وولاة الامور نعامهم ان الرهبان والنصارى

٣ بالطور انهوا الينا ان العادة جرت من تقادم الزمان والى هذا الاوان ان اليهود لا

٤ يسكنون البندر مطلقا واذا طرات لهم حاجة ضرورية فيتوجه فيتوجه نفر او نفرين * يقضوا ضرورتهم *

٥ ويعودوا * والان فقد صار جماعة منهم بكثرة يسكنون البندر ويستوطنون فيه بعيالهم واولادهم

٦ وان بايديهم امر * شريف * سلطانى * وأحكام * سابقة بمنعهم فقد رسمنا بان يتقدموا بالوقوف

٧ على الامر الشريف السلطانى واعتماد مضمونه وعدم العدول عنه وعامل البندر الملتزم به

٨ لاكلام فيه واما غيره من اليهود فيمنعوا * من السكنى فى البندر ولا يمكنوا * من الاقامة

٩ به جملة كافية اجرا فى ذلك على العادة فليعتمد ذلك قولا واحدا تحريرا فى

١٠ عشرين شهر ذى القعدة سنة ثلث وتسعين وتسعمائة .

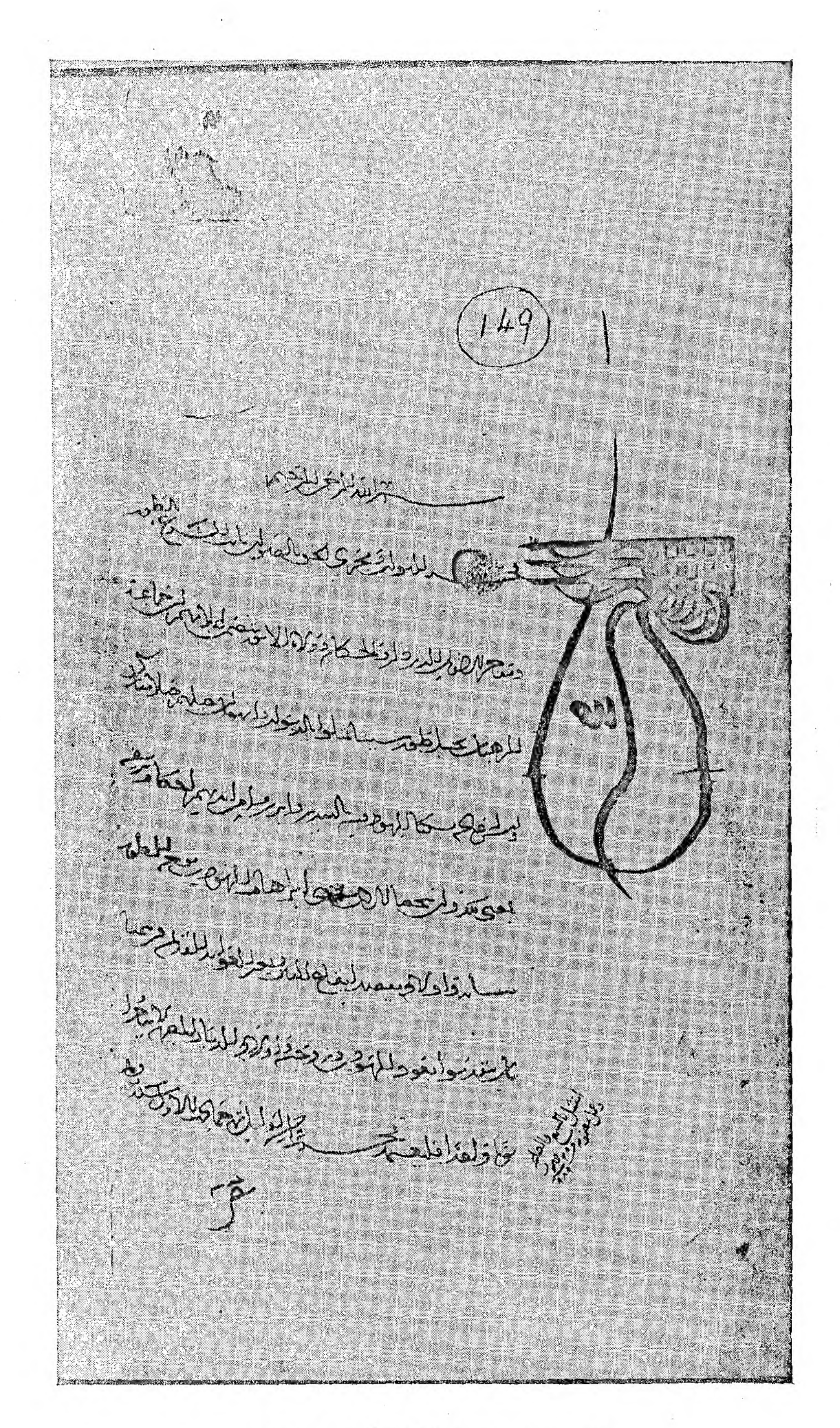
١١ بمدينة

١٢ مصر

امتثلوا الأوامر الكريمة وقابلوها بالسمع والطاعة

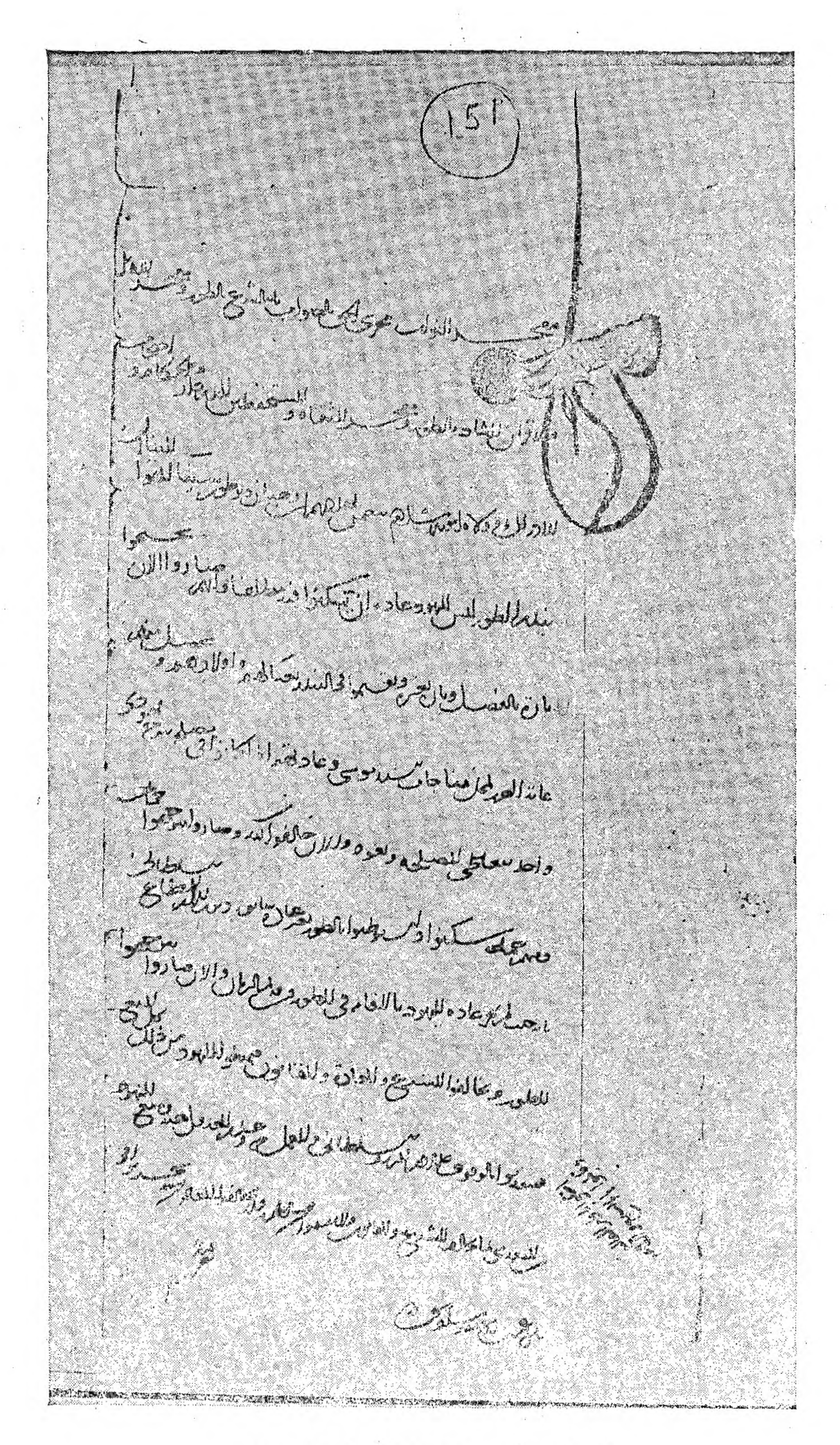
+ ختم مستدير يقرأ فى مركزه « أضعف العباد . . . . محمود »

* كذا فى الأصل ، وهى أخطاء لغوية لا تخفى على القارىء ، كما أنها توضح لنا مستوى الكتاب فى ديوان الباشا العثمانى

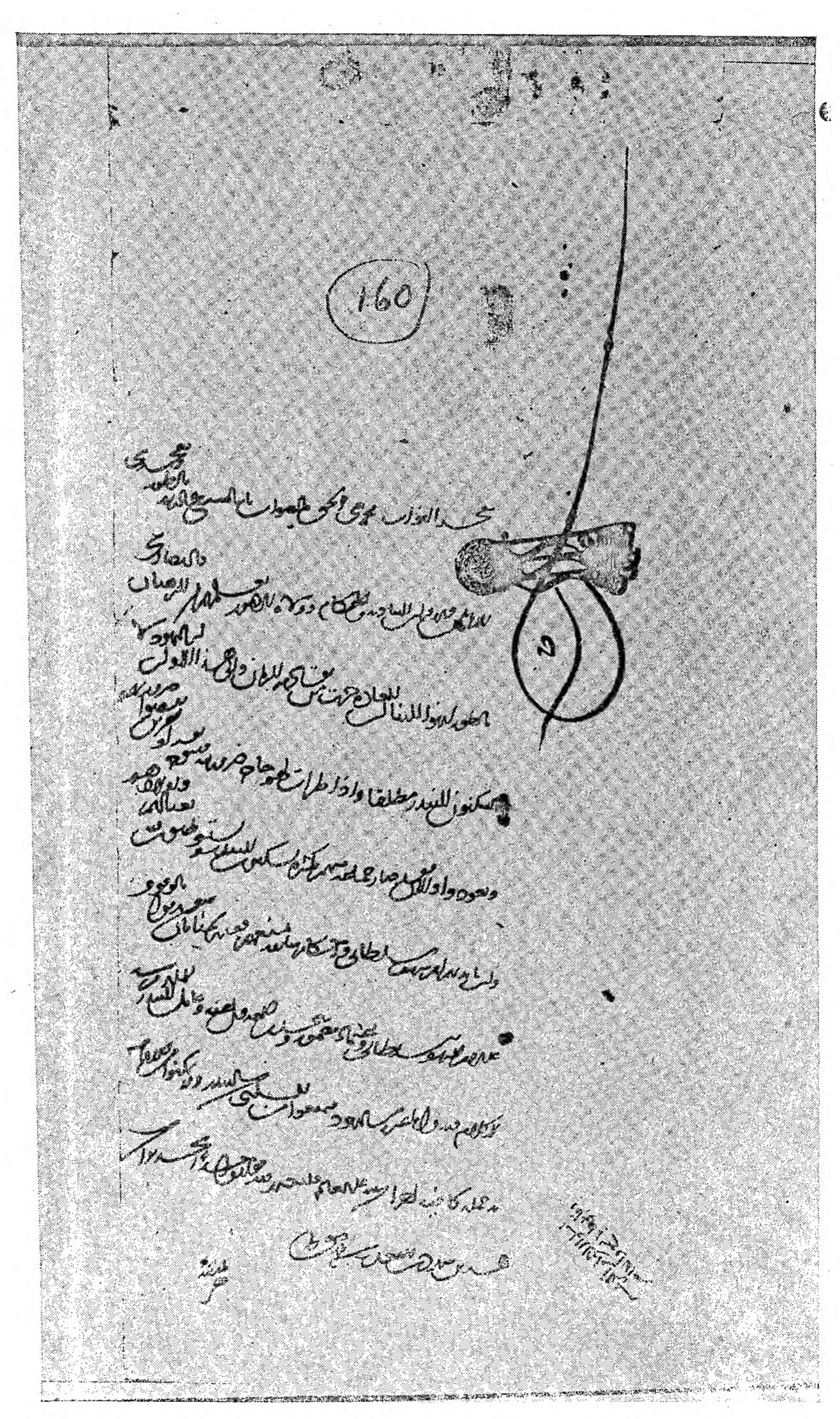

149

بسم الله الرحمن الرحيم

اللوحة رقم ١ – الوثيقة العثمانية رقم ١٤٩


151

اللوحة رقم ٢ – الوثيقة العثمانية رقم ١٥١



اللوحة رقم ٣ – الوثيقة العثمانية قم ١٦٠